

المقطف

الجزء العاشر من المجلد الثلاثين

١ أكتوبر (تشرين الاول) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٢ شعبان سنة ١٣٢٣

مقام المعلم

خطبة للمستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة

اصدق وصف ينطبق على المستر روزفلت رئيس الولايات المتحدة الاميركية انه جندي* حاكم . والتاريخ شاهد ان الجنود اذا حكموا نبغوا واشتهروا من الاسكندر الكبير الى قلب الاسد صلاح الدين ففردرك الكبير فتابليون الاول . والرئيس روزفلت جندي* باسل خدم بلاده في الحرب الاهلية وتجمل بفضائل الجنود ولم تصمه نقائصهم فلما القيت اليه مقاليد الامور في الولايات المتحدة تجلت فيه تلك الفضائل على اكملها فكان مثالا يجنذى وقوده تتبع في استقامة السيرة وطيب السيرة وحرية الضمير وطهارة الذمة . ومن حسن حفظه انه في امة تعرف اقدار الرجال فلذلك ترى قومه يكادون يؤلمونه لا سيما وانه جعل الولايات المتحدة محط انظار الدول وصاحبة الكلمة المسموعة في مجامع السياسة الخارجية . وسوف يذكر العالم بالشكر سعيه في مصالحه الروس واليابانيين ما دام في الناس قلب يخفق ولسان ينطق

على ان اعظم ما اشتهر به غيرته على شؤون بلاده الداخلية ودأبه في ترقيتها من عال الى اعلى ونقلها من حسن الى احسن . وقد خطب حديثا خطبة شائقة في التعليم والتهديب على اعضاء جمعية المعلمين الوطنية اخترنا تلخيصها اظهارا لفضل الرجل وعلمه وغيرته لعل فيها لنا عبرة . قال : انكم ايها الاساتذة اخص جماعة جمهورية في بلاد جمهورية لانكم تجتمعون وتذاكرون وتباحثون كالاكفاء من كل وجه وكلكم ساع في تربية الناشئة من الصبيان والبنات ليكونوا رجال الامة ونساءها

وليس كثيرا ان يقال ان من اخص اعمال الجمهورية ما يعمل المعلمون المهذبون . فانه مهماتكن عيوبنا — ولا ننكر ان فينا بعض العيوب — فقد ادركنا حتى الادراك اننا

لا نستطيع ان نقوم بما يجب علينا في الحكم على انفسنا بانفسنا ما لم تكن عقولنا مستنيرة
واخلاقتنا مهذبة . وانتم ايها المعلمون ان لم تحسنوا القيام باعمالكم فان اجل هذه الجمهورية
ينقضي في جيل . فقد خدمتم هذه البلاد وهذه الجمهورية اجل خدمة وذلك بتعليمكم الاولاد
الذين يولدون هنا والذين يأتون اليها من اطراف الارض النائية على اختلاف بلدانهم وجعلكم
ايامهم جسماً واحداً وهذه خدمة جوهرية للجمهورية لا يقدر ثمنها . وزدتم على ذلك انكم وجعتم
عقول الطلبة المختلfi الشعوب والاجناس الى وجهة واحدة حتى يمتزجوا معاً ويصيروا امة واحدة
وما من منكر ان الفضل الأعظم في صيرورتنا نحن اهل هذه الجمهورية الاميركية العظمى
شعباً واحداً متحداً بدلاً من ان نكون مجموع شعوب متنافرة عائد عليكم وعلى مساعيتكم . وان
التلامذة الذين يتعلمون في مدارسنا العمومية سواء ولدوا هم و آبائهم هنا او في الخارج يشربون
في قلوبهم الحب والاحترام المتبادلين للذين لا بد لنا منهما في حل القضايا التي امام امتنا
ولكم خدمة اخرى جديرة بالذكر ولا غنى لنا عنها . ففي بلادنا هذه حيث تنزل الثروة
فوق منزلتها الحقيقية نحن مديونون اعظم دين لهذه الجمعية التي تستبدل هذا المطلب المادي
اي جمع الثروة بمطلب ادبي اسمى واكمل وهو حب العمل الشريف لمجرد كونه عملاً شريفاً .
ولست انكر البتة ان الغنى المادي لازم لتمدنا ولكنني اقول انه اذا كان تمدنا لا يبنى على
اساس الغنى صريحاً ادبياً مشيداً لم نعد في مصاف الامم العظيمة فالمال لازم للامة لزومه
للأفراد وما من عمل اراه الزم من زيادة المال للمعلمين لاصلاح حالهم مادياً جزءاً ما لم من
الفضل على الامة

وما يزيد خدمتكم قدراً ورفعة شأنكم تظهرون بسيرتكم ان الغاية الادبية التي تتوخونها
جديرة بما تبذلون عليها من التعب وانكم تهتمون اعظم اهتمام بعمل كل ما من شأنه ان يعود
بالخير على بني وطنكم ولو لم يكن منه ربح مادي لكم . وسيرتكم هذه اكبر خدمة تقدمونها ابناء
وطنكم لان الضرر الاعظم الذي يجلبه ارباب الثروة الواسعة على الامة هو ان نجاحهم يضع
نصب العيون مثلاً فاسداً لا يصح النسخ على منواله . فاذا لم نبالغ في الحفاوة بالغنى الذي لا
ميزة له الا غناه لم يبق له شأن يذكر بيننا ولا سلطة علينا . ولئلا تسبوا فهم مقالي اقول
ان الغنى الذي أعنيه انما هو الرجل الذي لا هم له الا ماله لا الرجل الذي ينفق ماله في
وجوهه ويعده وسيلة لا غاية . اما الاغنياء الذين ينفعون بلادهم بفنائهم فيستحقون الاحرام
مثل سائر الانام . واذا اصابنا ضرر من الاغنياء فاللوم علينا غالباً لا عليهم لان ضررهم
يختصر بالاكثري في اثاره حسداً وتدمرنا . اما في معاملاتهم فهم اقرب الى النفع منهم الى الضرر

ويحق لكل احد ان يتقي ضرر الضارين منهم ولكن لا يحق ولا يجوز لاحد ان يذم الاغنياء لمجرد كونهم اغنياء . لا تنسوا ذلك ايها الاساتذة فانه لا يجوز ذم الغني لانه غني كما لا يجوز ذم الفقير لانه فقير . والرجل الذي يحمله الغنى على البطر هو الرجل الذي لوبقي فقيراً لحله الفقر على الحسد والضعينة . والامران صيحجان على حدٍ سوى

الرجل الذي يرى غيره اصلحة منه حالاً فيحسده ويكرهه هو الرجل الذي لو اغنى لساء سلوكه وبطر وعتا واضرّ بغيره . والذي يحسد الغني ويكرهه لانه غني يعرب عن سخافة وخلل في عقله . وعن انه يكون عبداً ذليلاً للمال ما دام لغيره وسيداً عاتياً اذا صار المال له . وهذه الاخلاق اي البغضة والتذلل والعتو والحسد من قبيل واحد لانها ناتجة عن خطأ في قدر الغني فوق قدره كثيراً

ثم ان قيامة العامة على الاغنياء وهنّ الجرائد بهم وسوء سلوك الاغنياء الذين يستحقون بحقوق غيرهم لا علاقة لها بعضها ببعض في الظاهر ولكنها في الحقيقة ناشئة عن عيوب واحدة في جوهرها . واحد تلك العيوب عدم توجيه الازهار الى غاية حميدة . والامة التي لها غاية حميدة ترمي اليها وترفع اقدار الرجال الذين يسعون في بلوغها لا ترى بينها من يضع الغني في غير موضعه او يرفع قدر الغني أكثر مما يستحق

وهذا العيب انما يصلح على ايديكم وايدي الاساتذة اخوانكم المنتشرين في جميع اطراف البلاد . فالواجب عليكم ان تبينوا بعلمكم وعملكم معاً انكم ان كنتم تعدون الغني امراً حسناً فانكم تعدون غيره احسن منه . نعم ان من اللازم الذي لا انفكاك عنه ان يحصل المرء شيئاً من المال يكفي له وللذين هم عالة عليه ولكن السعي وراء المال اذا تجاوز حد الكفاف المخطئ عن المطالب الشريفة والغايات السامية

وتاريخ الامة الامريكية مملوء باسماء الرجال العظام مثل واشنطن ولنكن وكرانت وفرغوت ومورتن وبوفلتن ومورس وسنت غودنس ومكنوس مشاهير القواد والكتّاب والمصورين والنجارين والعلماء والمخترعين والمكتشفين والمهندسين والمحسنين وقادة الافكار وكل الذين اشتهروا في مطلب من المطالب المختلفة ولا يذكر بينهم من الاغنياء الا الذين استخدموا مالم في طرق المشروعة ووجوه النافعة وعدوه وسيلة لا غاية واحسنوا التصرف في كسبه وانفاقه طوبى لكم لانكم اعطيتم ان تقودوا النفوس وترشدوها الى الغايات النبيلة ولانكم تبشون بعلمكم وعملكم في عقول رجال الجيل المقبل ونسائه ما يعرف به مقام ذلك الجيل في تاريخ الانسان واريد في الختام ان اذكر اموراً حدثت في الاسبوع الماضي اموراً تؤيد ما قلته لكم من

انه ينبغي ان يكون في البلاد اناس يفضلون المطالب السامية على اكتساب الثروة . في الاسبوع الماضي فقدت هذه البلاد رجلاً من كبار ساستها ومن نوابغ رجال القلم فيها رجلاً كان له مقام غريب انفراد به بينا . رجلاً يحق لكل منا ان يفخر به لاننا كلنا استفدنا منه والولايات المتحدة كلها صارت احسن مما كانت لان جون هاي عاش فيها . انتظم هذا الرجل في خدمة الحكومة وهو شاب وجعل سكرتيراً للرئيس لنكن وكان لنكن يثق به ويعتمد عليه ثم تقلب في مناصب كثيرة وكان من مزاياه انه كان يعتزل الخدمة دائماً حيناً لا يستطيع ان يهجري فيها على حسب رغبته . وظل يتقلب في المناصب التي خدم بها وطنه الى ان بلغ اسمها فصار وزيراً وترجع في الوزارة ست سنوات في عهد رئيسين فانال هذه الجمهورية احترام ام الارض بما فعله وما كان عليه . وهذه الخدمة لا يستطيعها الا رجل امامه مطالب سامية تبعد عن كل ما يشين بعد المشرق عن المغرب

ولقد اردت ان يخلف جون هاي الرجل الذي احسب انه خير خلف لخير سلف ولما طلبت منه ان يقبل هذا المنصب كنت ممن يطلب منه ان يتجاوز عن ربحه المالي الوافر ولكنني لم افكر بذلك ولا هو فكر به ايضاً لاني كنت اعلم انه مهما كان المانع الذي يمنع اليهود من قبول الوزارة فلا يكون الخسارة المالية التي يخسرها لو قبل الوزارة فاجاب طلي وقبها ولا اتكلم عن هاي وروت كأنهما فردان لا مثيل لهما في هذه البلاد كلاً بل هما مثال لاناس كثيرين من اقرانها فاذا سمعنا الانتقاد على رجال الحكومة الانتقاد الذي اقول بأسف انه في محله غالباً وجب علينا ان نتذكر ايضاً ان لهذه الصورة وجهاً آخر وان في اميركا الآن كما في كل زمان وعندما تلم الملمات وتشتد الخطوب رجال ادارة من الطراز الاول لا يرضون بشيء في سبيل النفع العام ولو خسروا بذلك خسارة مالية لا تقدر . وليس بين وزرائي الآن من لم يخسر مالياً بانتظامه في سلك الوزارة وما من احد منهم الا وقد خسر شيئاً يعز عليه لكي يبقى في خدمة امته وليس له الا جزاء واحد ينتظره او يعا به وهو الشعور الداخلي بانه خدم بلاده وعمل ما يستحق ان يعمل

وارجو ان تزيد الرغبة في خدمة الامة في البلاد كلها حتى يسهل على كل احدا ان يضيح مصلحته الخصوصية لاجل المصلحة العمومية سواء كان في خدمة الحكومة او في غيرها من الاعمال لان الذين ليسوا في خدمة الحكومة قد ينفعون قومهم اكثر من الذين في خدمتها . وليكن النفع العام خير ما تجدى اليه الركاب وما يتوخاه كل انسان رجلاً كان او امرأة في هذا العصر وفي كل العصور وفعله هو الجزاء وهو الثخران يفعله

همة الشيوخ

يؤخذ من مراجعة تواريخ المشاهير من العلماء ان كبر أعمارهم لم يخف من همهم ولا اضعف قواهم العقلية بل ان كثيرين من أشهر مشاهيرهم ظهروا للعالم واشتهروا بعد ان جاوزوا سن الكهولة ودخلوا طور الشيخوخة . وامثلة ذلك كثيرة تأتي على بعضها تأييداً لما تقدم فتنهم كنت الفيلسوف الالماني كتب كتابه المعنون "بحث في العقل المجرد" وهو في سن السابعة والخمسين وهو كتاب مفعم تصورات وافكاراً سامية حتى لم يقم بين العلماء بعده سوى نفر قليل أدرك كتبها . وكتب كتاباً آخر لا يقل عن الكتاب المذكور اتقاً علماً وسمو فلسفة وهو في سن السبعين

ومنهم لا بلاس الرياضي الفرنسي نشر اوائل كتابه المسمى "نظام العالمين" وهو في سن الخمسين ونشر الباقي منه وعمره سبعون سنة . وهو الكتاب الذي بسط فيه رأيه في المذهب السذني فاقام العلماء واقعدهم لاول الامر ثم صار المذهب المقبول عند الاكثرين الى الآن هذا في علم الافلاك او تكوّن العالمين واما في الجيولوجيا فاشهر من اشتهر السرتشارلس ليل ومعظم ما كتبه فيها كان بعد ان جاوز الاربعين واكمل تنقيح كتابه "مبادئ الجيولوجيا" قبل موته بثلاثة ايام ومات وهو ابن ٧٨ سنة . وكتاب هذا لا يزال الى اليوم حجة يرجع الجيولوجيون اليه ليهتدوا بمشكاته حتى لقد اُقبّ بابي الجيولوجيا ومبدعها

وفي طليعة علماء البيولوجيا تشارلس دارون قضى شبابه ومرحلة من كهولته بنقب وينقر حتى سن الخمسين فنشر كتابه "اصل الانواع" المشهور وهو الكتاب الذي حام عليه الجدل واشتدّ النضال بما لم يعهد في كتاب قبله ولا بعده . ثم كتب كتاب "تسلسل الانسان" وهو في الثانية والستين فكان مثل كتابه الاول شهرة وانتشاراً وتأثيراً

ومنهم الفيلسوف هربرت سبنسر فانه توفي وعمره ٨٣ سنة ولما بلغ الاربعين من عمره لم يكن قد نشر شيئاً من مؤلفاته المشهورة . فلما بلغ الثانية والاربعين نشر كتاب "المبادئ الاولى" ونشر كتاب "مبادئ الفلسفة العقلية" وهو ابن اثنتين وخمسين سنة و"مبادئ علم الاجتماع" وهو ابن ست وخمسين وكتاب "العدل" وهو ابن احدى وسبعين وهذا الكتاب من اسمى ما ألفه في الفلسفة الادبية . ولما بلغ الثمانين اتم آخر كتاب من فلسفته المشهورة المعروفة بالفلسفة التركيبية ولم تكل قريحته ولا نبا سيف دماغه

واشهر ساسة الاميركيين وفلاسفتهم بنيامين فرنكلين اخذ صيته يمتد في السياسة

والفلسفة بعد ان جاوز الستين . وبلغ الثمانين وهو في مناصب الحكومة يطلب الاعتزال وفي
تضن به حرصاً على خدمته

واكتشف كوليس اميركا وعمره ٥٦ سنة ودار مجلان حول الارض وعمره ٤٩ سنة
واكل جيبي الشاعر الالماني كتابة " فوست " وعمره ٨٠ سنة . وعمر اللورد كلفن الآن
٨١ سنة ولا يزال يشتغل بالطبيعات والرياضيات بهمة لا تعرف الملل ولا الكلال
واكتشافاته فيها ابتدأت بعد ان بلغ الاربعين . واتم ما كتبه في سلك البحار والمادة
والفلسفة الطبيعية والجيولوجيا بعد ما جاز الستين

واكتشف فاراداي تأثير المغنطيسية في استقطاب النور وهو بين الخمسين والستين من
عمره . وكتب جون فسك كل ما كتبه في التاريخ بعد الاربعين واهمها ما كتبه بعد مائتين
الخمسين . وكسب فندر بلت ١٦ مليون جنيه بعد الخامسة والسبعين . وبير بنت مورجان الفني
الاميركي الشهير حي يرزق وعمره ٦٨ سنة واعظم اعماله تأليف شركة الفولاذ (الصلب)
وهي اعظم شركة صناعية في الدنيا الفها بعد ان بلغ الستين . وعمر كارنجي ٧٠ سنة وقد جمع
ملايينه الكثيرة بعد ان جاوز الخمسين ولا يزال الى الآن متوقد الذهن اذا تكلم فالعالم كله
يسمع كلامه . والدكتور ويرمشل في السادسة والسبعين مارس صناعة الطب زمناً طويلاً
وفاق بها الاقوان ثم مال الى الانشاء وهو ينشئ الآن الروايات البديعة فيكتسب من
الرواية منها يكتسبها في شهر من الزمان الوف الريالات ان لم نقل الوف الجنيهات (انتهى
ملخصاً من مقالة في مجلة العلم العام)

فهذه الشواهد وامثالها دلائل ناطقة على ان كبر السن لم يؤثر في كبار الرجال فلا أضعف
لهم همة ولا قلل عزيمته ولا اطفأ نور قريحته وقادة . اما نحن فترى الواحد منها اذا جاوز حد
الاربعين تمثل بقول عنتره

وماذا تبغي الشعراء مني وقد جاوزت حد الاربعين

وقعد عن السعي يندب شبابه وقد يبلغ الثمانين وهو في صحة وعافية يحسد عليها ولو
ابدى بعد الاربعين بعض ما ابداه من السعي والهمة قبلها لانجز في كهولته وهرمه مالم ينجزه
في شبابه . ولعل في ما تقدم تعزية لمن خائنه السعد ولزمه النحس شاباً فيئس وقطع كل امل
بالتجاح كهلاً . ولا يبعد ان يكون معظم السبب في نجاح الكهول والشيخوخة خلوصهم من مشاغل
الشباب وانصرافهم بكليتهم الى ما فيه مصلحة دون لذتهم واهتمامهم باعداد ما يعولون به
انفسهم وعيالهم اذا اقعدهم المرض او الحرمان عن السعي والعمل في أخريات العمر

غرائب النبات والحيوان

تلك الفلوات المحرقة والفيافي المجذبة التي يأبى ساكن النار ان يستجير بها والتي اذا دعا على اخيه لم يدع عليه باحرّ منها — فيها ما يزيل وحشتها كما يزيل البدر وحشة الليلة الظلماء ويزين وجهها كما تزين الشامة وجنة الصمباء ويعلي قيمتها كما يعلي الدرّ قيمة الصدف . فكان الطبيعة خشيت ان يقال عنها انها ملأت رحابها بما لو كان بدلاً منه نارٌ لاستخدمها الانسان لحاجته واصطلى بها المعدم من برده فأودعتها ما يخفف وطأة الانتقاد ويدلّ على ما في اعمالها من الحكمة والسداد وانها خلقت الدواء قبل ان تخلق الداء واوجدت الكرب ولكن بعد ان اوجدت العزاء

فن ودائعها في الصحراء الواحات وامرها مشهور . ولكن سل علماء الطبيعة الذين جابوا الارض طولاً وعرضاً يستجلون غوامضها وينقبون عن كنوزها يخبروك ان في اكناف المقاوز المترامية نوعاً من النبات يذخر الماء لحاجته ويجود به على طالب رفته من الانسان او الحيوان تبريداً لغتله . منه نبات ينبت في صحراء موهاف بكليفورنيا يبلغ علوه نحو نصف متر وتضرب جذوره في الارض فتملاً بقعة قطرها نحو ستة امتار وهي مساحة واسعة بالنسبة الى حجم النبات . وترى الجذور قرب سطح الارض لا تبعد عنه الى اعظم من ١٠ سنتيمترات فتمكن بذلك من امتصاص مقدار كبير من ماء المطر ولو هطل مرة واحدة فيكفيها مؤونة على مدار السنة . على ان منه ما يرسل بعض جذوره افقية وبعضها عمودية فتغرز في الارض الى عمق كثير

اما الطريقة التي تخزن هذه النباتات الماء بها فغريبة في بابها . فان مقدار ما يتجر من ماء النباتات عادة انما هو على نسبة مساحة سطحها الاخضر او اوراقها . فقد اخذت شجيرة من شجيرات البن اليمني ووزنت فبلغ ثقلها ٢٠٠٠ الجرام وقيست مساحة اوراقها فبلغت ١٦٤٤٢٦ مليون مربع اي ان نسبة ثقلها الى مساحة اوراقها كنسبة ١ الى ٨٠٢٣ . واخذت شجيرة من البساجا وهو نوع من الصبر ينبت في الصحراء ويذخر الماء وله جذع بلا اوراق ووزنت فبلغت زنتها ٧٧٠٠٠ جرام ومساحة سطح جذعها ١٠٣٢٣٢٠ مليوناً مربعاً اي ان نسبة ثقلها الى مساحة سطحها كنسبة ١ الى ١٣٠٤ . فيظهر من هذه المقابلة ان مساحة السطح الاخضر في نبات البن ٦٠٠ ضعف مساحة السطح الاخضر في الصبر المذكور وبعبارة اخرى ان قوة التبرير في نبات البن اشد من قوة التبرير في نبات الصبر ٦٠٠ ضعف

وزد على ذلك ان تركيب نبات الصبر هذا هو بحيث يقل معه مقدار ما يتجر منه كثيراً ويستطيع النبات به ان يحافظ على القسم الاعظم من الماء الذي امتصه . فان قشرته صلبة وداخله مؤلف من خلايا يذخر الماء فيها والماء ٩٦,٣ في المئة من ثقله وعليه فان فيه من الماء ما لا يوجد في اكثر الخضر ماء كالخيار فان فيه ٩٥ في المئة من الماء

وهذا الصبر على انواع منها ما مؤه مرث مقيي ومنها ما مؤه حلوطيب المذاق . شاهد بعضهم استخراج الماء من نوع البسناجا المذكور آنفاً ووصفه فقال جي بشجيرة منه علوها نحو متر ثم قطعت من اعلاها حتى بان لبابها وأخذت عصاً فدق الباب بها حتى خرج العصير كله منه وصب في اناء فاذا هو ماء لذيذ الطعم فيه ملحوة قليلة يشربه العطشان ويفضله اهالي المكسيك على الماء القراح

وقد جهزت الطبيعة هذا النبات بحرس قوي من الاشواك تكسوه كله فتصونه من غارات الحيوان آكل العشب اما ما كان منه مرثاً مقيئاً فانك تراه قليل الشوك اذ مرارة كافية لان تدفع عنه هجمات اعدائه

غير ان الحيوانات التي تسكن الصحراء وان كانت تلتقى اشد الصعاب في سبيل استقاء الماء الا ان المشهور عنها انها قلما تتطلبه نقضي الايام الطوال بل الشهور صائمة عنه ولا ينالها من صيامها شر ولا ضرر . ومن الحيوان ما لا يشرب الماء بتاتاً ولا يأكل المواد التي يكثر الماء فيها كالخضر بل طعامه الحبوب اليابسة . ذكر بعض اهل السياحة من العلماء انه توغل في احدى صحارى استراليا ومعه تسعة جمال فلم تشرب ماء مدة اثني عشر يوماً . وذكر آخر ان الغنم المعروفة بالمرينوس قد يمر عليها شهران كاملاً لا ترى فيهما الماء فضلاً عن ان تشربه . وربى آخر فارة برية فلم تشرب الماء شهراً كاملاً وكانت تفتت بالحبوب اليابسة ولما ألقت اناها بالماء فلم تشرب وادناه منها حتى مسها فهاها فنفرت منه . وربى غيره فارة اخرى ثلاث سنوات فلم تشرب في خلالها ماء وانما كانت تفتت بالحبوب اليابسة . وقد حار العلماء في ذلك اذ يستحيل على حيوان له اجهزة للتنفس والهضم والافراز ان يعيش على مثل هذا القدر اليسير من الماء حتى تسأل البعض قائلين ترى هل لتلك الحيوانات اعضاء تنقص بها الرطوبة من الهواء وتحولها ماء تسد به حاجة اجسامها . أو هل تأخذ ما تحتاج اليه من الماء من نشا الطعام عند تحليله في اجسامها كيموياً كما انها لا تستطيع اخذ طعامها مباشرة من التراب فتأخذه من النبات بعد امتصاصه له واغذائه به

المدح والذم والتقريض والانتقاد

المدح والذم وما ادراك ماها . أمران استأسد فيهما الهوى والتصق بهما العلم والجهل والرجاء واليأس والرغبة والرغبة حتى نددت اللسان والاقلام عن مناهج الصواب . فشردت الاماديج والاهاجي عن مواطن الصدق ودرجت مدارج الكذب وتجلبت جلايب التمويه فانقلب كل منها الى ضد ما أريد به . اي استحال هجو الكرام مدحاً ومدح اللئام هجواً على حد ما قال المتنبي

واذا أنتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

فليت شعري من يقوم في زعمه ان هجو المشهور بالانصاف والوفاء يصدق عند من اتصل اليهم صيته او من الذي يستطيع ان يغطي بسجف مدحه ما شاع وذاع من رذائل وخيانات من اشتهر بقله الحياء وعُرف بالكبرياء والخيلاء

فما مثل هذين الأمثل من يطلي العبد الاسود بطلاء ابيض او يطلي الابيض الكرجي بطلاء اسود حتى يظهر للنظر على ضد ما جبلا عليه ولكن لا يحكم على العبد الاسود انه ابيض ولا على الابيض انه عبد اسود الا ريثما يذهب الطلاء فيعود كل منهما الى حاله الاول فكم يا وفاك الله في الاقدام على مثل ذلك من صفاقة الوجه ولأمة النفس

فمن ثم أكثر ما نسمع لعصرنا في هذه الناحية "انا لا امدح" او "انا لا احب المدح" فاذا تذكرت ان متعلق المدح هو الصفات الجميلة كالحكمة والكرم والشجاعة والمروءة والرفاة والوفاء . وأن متعلق الذم انما هو الصفات القبيحة كالجهل والطيش والجبن والشح والاخلال والرائاء حكمت الحكم البات ان ما ذكرنا من قول ناشئة العصر "انا لا امدح" او "انا لا احب المدح" انما هو ضلال مبين ان أخذ الكلام على اطلاقه والأفهل من انسان يذم المحسن ويهجو الشجاع ويظعن في اهل المروءة والنجدة ام هل من احد يشق عليه مدح الكرام او هل من امرئ ينفر من الثناء على الابطال الصناديد او يشتم من التنويه بآرباب العلم من مثل الائمة الذين وضعوا كتب العلوم وقرروا قواعدهم وحرروا ضوابطها او من مثل المخترعين الذين كانوا ولن يزالوا للبشرية وبل منافع ودرهم فوائد كمخترع الخط ومخترع السفن البخارية والسلك البرقي وغيرهم ممن يضيق المقام عن سرد اسمائهم

ولكن اذا نظرت الى وقوع المدح غير موقعه ورأيت مطارفه الفاخرة على من يدنسونها

بصديد المعاييب هان عليك ان توافقهم وذهب عنك استغراب قولهم ذاك "انا لا امدح"
وايقنت ان ذلك المدح لمن يتكبرون السنن المسنونة والآداب المحموده لا يتعدى ان يكون من
باب وضع الشيء في غير موضعه وهو لعمر الله الظلم بعينه وما كان الظلم ليحمد
بالله ربك قل لي من ذا الذي اذا خلى وشأنه تطاوعه نفسه ان يمدح من اذا راجعت تاريخ
اعمارهم أو نظرت الى آثارهم اخذك العجب من اجترائهم على الظهور للناس مع كثرة قبائحهم
ووفرة فضائحهم . ألا يعيشك انبثني من الذي يطيب له ان يسمع الثناء على جماعة لو انبعثت
عن المساويء رائحة كريهة لما امكن التخلص من نثانة مساوئهم الا باحراق القناطر المقتطرة
من العود والبخور

فما نقول يا اخا الادب وظهير الفضل متى رأيت في مديح كل منهم مئين من القصائد
تصورهم للناس بصور يتابع الفضل ومصادر المجد واركان الحق وانصار العدل . وما هم وحياة
الانسانية الا دما مل مثالب يسيل فيحيا على ذلك الحيا الجليل يحيا الانسانية
اقول هذا اضهاد للادب واصحابه . والفضل واربابه وهو لو اريد تصويره او تمثيله
جاز ان يقال انه كاعداد المزابيل للادباء والتبلاء ونصب كراسي الكرامة والتعظيم للسفهاء .
فيالحق من مضيعه والفضل من مضطهده

واعلم ان لا داعي الى شيء من ذلك الجور على الاخلاق الكريمة واهلها والخروج عن
الواقع الا هو متبع او امل في نوال او خوف من عقاب او جهل بحقيقة الحال كما سبق
الالامع اليه . فربما هوي الشاعر امرأة غير بارعة في الجمال فيصور لها في شعره من المحاسن
مالا اثر له الا في تخيلاته . وقد يعظم امل امرىء في شخص حتى يقوم في زعمه انه سينفخ
له خزان روتشيلد فيمثله فيما ينظم في مدحه من القصائد بحر جود يتدفق على الدنيا وسحابا
من ذهب يهجي على الارض

وربما خشي على حياته من جائر لا قبل له بكف عاديته عنه فيتزلف اليه بقصيدة او
بقصائد تشرح تفوقه على الانام وتبين عظمة شأنه عند الاقوام وتجعله ملاذ البلاد وتحط
عن مرتبته عترة بن شداد وذلك كله رجاء ان لا يتناوله بمكره وفراراً من ان يمس
بأذى . وقد يكون المرء معتقداً علو الهمة وشرف النفس في زيد فيطلق قريحته في بيان رفعة
قدره وعلو منزلته حالة كون الواقع على ضد ما قام في وهمه ولا يكون ذلك عن رغبة ولا
عن رهبة ولا انقياداً لهوى في الصدر بل تمثيلاً لما ثبت له عند المادح من الطباع السليمة
والصفات النبيلة

ومن هنا فلا تستغرب ان ترى الشاعر يمدح زيدا ثم يهجوُه ويهجوُ عمرا ثم يمدحه وهو لا يبالي ما قال الناس فيه ولا يخشى عار هذا الانقلاب حتى كأن البشر أصبحوا بهائم لا يُستحي ان ترتكب المعاصي امامهم . فهذا المتنبي مدح كافورا أعلى المدح واجله ثم هجاهُ اشدَّ الهجو واوجعهُ فاليك بعض ما قال في مدحه

ولكن بالفسطاط ^(١) يجرأ أزرته
حياتي ونصحي والهوى والقوافي
قواعد كافور توارك غيره
ومن قصد البحر استقل السواقي
نجأت بنا إنسان عين زمانه
وخلت يياضا خلفها وما قيا

الى ان يقول

يُدلُّ بمعني واحد كل فاخر
وقد جمع الرحمان فيك المعاني
ودونك ما قال في هجوه

من آية الطرق يأتي مثلك الكرم
أين الحاجم يا كافور والجلم
جاز الالى ملكك كفأك قدرهم
فعرّفوا بك ان الكلب فوقهم

أخذت بمدحه فرأيت لهوا
مقالي للأحقيق يا حلیم
ولما أن هجوت رأيت عيا
مقالي لابن آدم يا لئيم

اني نزلت بكذآبين ضيفهم
عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الأيدي وجودهم
من اللسان فلا كانوا ولا الجود
ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم
الأ وفي يده من ننتها عود

ومنها

لا تشتتر العبد الآ والعصا معه
ان العبد لا نجاس مناكيد
ما كنت أحسبني أحيأ الى زمن
يسي في فيه كلب وهو محمود

ومنها

من علم الاسود المخصي مكرمة
اقوامه البيض ام آباؤه الصيد

ثم استيعاباً للكلام في هذا الباب نقسم المدح الى قسمين احدهما المدح بالصفات الفطرية كالسماحة والبسالة والآخر المدح بالصفات الكسبية كالتيجر في العلم وطول الباع في الصناعة . فاما المدح بالصفات الفطرية فلا يحتاج الى علم يتلقى على استاذ . فكل يستطيع ان يعرفه ويحقق

له ان يذكره ويثني به على صاحبه . فمن يري زيدا يفرق المال على العفاة ويقرى الضيفان وير عمرًا يخوض غمار الحرب ويفتك بكلماتها يتبها له ان يثني عليهما بالسخاء وشدة البأس وثبات الجأش . وكذلك من ينال عوارف خالد او يأمل تحصيل فائدة عنده يطلق لسانه في مدحه . وكذا قل في من يخشى غائلة قوي فانه يتذرع الي التخلص منه بالمدح . فاذا راجعت دواوين الشعراء فلا ترى مدحة لم تشذ عن باعث من تلك البواعث

ومن مدحوا رهبة عبد الله الشهير بصفي الدين بن الشكر كما قال فيه شمس الخلافة

مدحتك السنة الانام مخافة وتقارضت لك في الثناء الاحسن

أثرى الزمان مؤخرًا في مدتي حتى أعيش الي انطلاق اللسان

واما المدح ببسطة العلم وطول الباع فيه والبراعة في الصناعة فلا يقبل الا من اكابر العلماء وحذاق اهل الصناعة او ممن يسند ذلك اليهم . والا فمن اين للتاجر الجاهل صناعة التصوير مثلاً ان يحكم بأن فلاناً هو ابرع مصوري زمانه ولا يعرف من دقائق الصنعة شيئاً ولم يكشف بشيء من اسرارها . بل من اين للبقال ان يحكم خالده انه اعلم زمانه وفرد اوانه وهو لا يعرف قاعدة من قواعد ذلك العلم الذي ميزه فيه على الاقران . ورفعته عن الامثال والانداد . فلا جرم ان كلا هذين ممن يهرف بما لا يعرف فالمدح بالعلوم والصنائع انما هو من خصائص اربابها يقبل منهم ولا يقبل من سواهم لمكان انهم اهل المعرفة بذلك والخبرة به . وفي الشرائع عامة ان ما لا يعلمه الا ذوو الخبرة يقضى فيه على قولهم

غير ان تباين الانظار والاذواق وتلاعب الالهواء والاغراض بنفوس من اثبتنا ان لم القول الفصل بذلك وتفاوت طبقاتهم في العلم وسعة الاطلاع وقتله قد اطاش سهامهم واهن احكامهم فارانا واحداً لسان اهوائه ورغائبه وواحداً مقول حسده وكبره وآخر شاهداً بفساد ذوقه وضعف نظره او مثبتاً بوهن حكمه قلة اطلاعه

ألا وان بعض ما يخالط النفس مما ذكرناه يثور عليها فيخيم ضبابه حتى ما ترى وجه الصواب فتترك مطايا الغلو مدحاً او ذمًا . ومن هناك تراه في تراجم العلماء وتقريض كتبهم يجاوزون حد المعقول كما يفعل الشعراء في مدح من يجزل لهم الصلات ويسني لهم الجوائز كما بي دلف الجواد المشهور فقد قال فيه العكوك احد فحول الشعراء المبرزين

انما الدنيا ابو دلف بين مغزاه ومحضرة

فاذا ولي ابو دلف ولت الدنيا على اثره

كل من في الارض من عرب بين باديته الى حضرة

مستعيرٌ منك مكرمةٌ يكتسبها يوم مفتخرةٍ
والذي يبعث المقرض على المغالاة في مدح كتاب أو قصيدة إما نشوة تأخذ بلبه لوقوعه
في الكتاب أو القصيدة على ما يحسن في ذوقه ويلائم ما في نفسه. وإما كون الكتاب أو الشعر
جليب له كرامة عنده فهما وإن كانا من طبقة متوسطة يجعلهما في الطبقة الأولى ولا يرى
فيهما مغزاً ولا مطعناً وينوه بالمؤلف والشاعر تنويهاً ينطبق على ما له في صدره من
التكريم. وكذلك يفعل في الانتقاد اجابةً لداعي سخطٍ كما سترى. وإما مقصد آخر يتعلق به
نفس المقرض فنتطرق إلى ادراكه بالتقريض المتعدي حد ما يستحق المقرض ونظائر ذلك كثيرة
لعلنا . فأجدر بأولئك المادحين والمقرضين أن يرفعوا البراقع عن عيونهم ويجعلوا المدح
والتقريض منطبقين على الواقع ولو توسعوا فيهما كما تقتضيه طبيعة الثناء بالخير والآزرى بهم
أهل الذوق من الخواص والعوام ولم يعد فيهم من يخجل بكلامهم أو يأخذ به فيكون لهم بذلك
عقوبة شبيهة بعقوبة المأمون للعكوك . فقد أخرج لسانه من فمائه لقلوبه في أبي دلف أيضاً
أنت الذي تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حالٍ إلى حالٍ
وما مددت مدى طرفٍ إلى أحدٍ إلا قضيت بارزاقٍ وآجالٍ
والإدلة على الغلو في التقريض كثيرة تقتصر منها على ثلاثة ونحيل بالباقي على مطالعة الكتب

الدليل الأول

في تقريض الخطب النبائية

قال ابن خلكان في خطب عبد الرحيم بن نباتة (١) "وقع الاجتماع على أنه ما عمل مثله"
يريد أنها فريدة في بلاغتها وحيدة في حسن ديباجتها بتيمة الدهر في السجماها وقوة معانيها .
أقول أن هذا الإطلاق ليس بقائم على أسس متين كما يراه من أطلع على نهج البلاغة فقد أودع
من الخطب ما تراءى فيه البيان بأبهى مظاهره وتجلي بأبهر بدائعه . فباليت شعري من ذا
الذي يوازن بين خطب الإمام عليٍّ وخطب ابن نباتة ثم يجزؤ أن يقول في الخطب النبائية
"وقع الاجتماع على أنه ما عمل مثله"

لا أريد بذلك الغرض من هذه الخطب فهي والحق يقال خطب بليغة محبرة تشهد
لصاحبها بطول الباع في صناعة الانشاء وثقفي له بأنه من أفرس فرسان البيان ومن

(١) وإد ابن نباتة سنة ٢٣٥ هـ بميا فارقين وتوفي بها سنة ٢٧٤ هـ وقد خرج من ميا فارقين الخطيب
النهر المعروف بأبي حليم وهو أحد بطاركة النساطرة

أحقّ من يشار إليهم بالبنات . ولكنها لم تبلغ أن تفضل على الخطب الحريية ^(١) فضلاً عن الخطب العلوية . وإن شئت فعارضها بها تظهر لك حقيقة الامر وتعلم حينئذٍ أن ابن خلكان ^(٢) إنما قال فيها ما قال أما لأنها اشدّ ملازمةً لذوقه وأما لأنها احسن من سواها موقعاً في نفسه وأما لأنه لم يقابلها وقتئذٍ بما هو من جنسها فقلد في تقريلها غيره فجاء حكمه جائراً فيما أرى

الدليل الثاني

في وصف أبي الوليد بن زيدون

قال ابن بسام ^(٣) صاحب الذخيرة في أبي الوليد بن زيدون "كان أبو الوليد غابة منشور ومنظوم وخاتمة شعراء بني مخزوم اخذ من حرّ الأيام حرّاً . وفاق الانام طراً" نعم ان ابن زيدون ^(٤) كاتب بليغ وشاعر مجيد . فلا يتعدّى الحدّ من يقول انه غابة منشور ومنظوم

أما اطلاق القول بأنه فاق الانام طراً فمن قابل شعره بشعر غيره من النحول انتفض عنده هذا القول من اصله فإنه يرى في طبقته خلقاً من الشعراء فلو سئل ابن بسام متى امتحنت الانام اجمع وعرفت طبقة كلّ منهم حتى جاز لك القول انه فاق الانام طراً ما استطاع الى الجواب سبيلاً اللهم الا ان يقول انما اراد انام بلده وعصره فيكون من باب قولهم جمع الامر الصاغة يعني كلهم والمراد كل صاغة بلده لا كل صاغة الدنيا

قلت الاولى في مثل ذلك ان يُجرى على سنة التخصيص كما جرى صاحب الذيل في ترجمة أبي الفضل الميكالي ^(٥) قال "كان أوحّد خراسان في ذلك العصر ادباً وفضلاً" وكما قال في صنيّ الدين الحلبيّ ^(٦) ونصّ قوله "هو الامام العلامة البليغ القدوة الناطم النازر شاعر عصره على الاطلاق" ووقع منه في النفس وثابت عند الامتحان ما جاء لابن شاكرفي

(١) كانت ولادة الحريري سنة ٤٤٦ هـ وتوفي بالبصرة سنة ٥١٦ هـ

(٢) ولد ابن خلكان بارييل سنة ٦٠٨ هـ وتوفي بدمشق سنة ٦٨١ هـ

(٣) ابن بسام توفي سنة ٣٠٢ وقيل ٣٠٣ هـ

(٤) كانت وفاة ابن زيدون بمدينة اشبيلية في صدر رجب سنة ٤٦٣ هـ (٥) كانت وفاة أبي الفضل

الميكالي يوم عيد الاضحي سنة ٤٣٦ هـ

(٦) كانت ولادة الصفي الحلبي سنة ٦٧٧ هـ وفاته سنة ٧٥٠ هـ

زجة ناصر الدين بن النقيب^(١) وهذا نصّ قوله "شعره حسن جيد عذب منسجم فيه التورية الرائقة اللائقة المتمكنة . وهو أحد فرسان تلك الحلبة الذين كانوا من شعراء مصر في ذلك العصر ومقاطيعه جيدة الى الغاية" ونظير هذا قوله في عبد الله الجماعي^(٢) "كان اماماً حجة مصنفاً متفتناً محرراً متبحراً في العلوم"

وينتظم في هذا السلك قوله في الكاتب المعروف بالبديع^(٣) "كان آية في النظم والنثر. فما قاله ابن شاعر فيمن ذكرنا تنويه مقبول ونعت يصح في المعقول ومن هذا الباب وصفه لابن المعتز^(٤) بصاحب الشعر البديع والنثر الرائق

الدليل الثالث

ما جاء للزمخشري في تقريض مقامات الحريري وهذا هو

أقسم بالله وآياته ومشر الحجة وميقاته
أن الحريري حريٌّ بأن نكتب بالتبر مقاماته
معجزة تجز كل الوري ولوسروا في ضوء مشكاته

فلت لامراء ان النسج على منوال الحريري اشق ما يحوم حوله المنشي وأوعر ما يسلكه الكاتب ومقاماته حرية بأن تكتب بماء الذهب فقد شهدت بلاغتها انه قد ملك قياد البديع وقامت له اللغة مقام الخادم المطيع والعبد الامين وانقادت له المعاني انقياد الاسير العالي لكنني لا احسبها معجزة تقصر ايدي البلغاء قدمائهم ومحدثيهم عن الاتيان بمثلا . وما كان الزمخشري ليعجزه انشاء مقامات في طبقتها وهو من ابلغ الكتاب في اللسان العربي . وعندني ان هذا الغلو في تقريض المقامات الى هذا الحد وان كان لأحد امراء البيان وفرسان البراع اشبه بفبار يقع على محياها فيجب من جماله وربما ساق الفحول من علماء الأدب الى نقبها والتنديد بها

ورب قائل يقول كفى بالحريري فضلا وحسبه فخرا ان يطرئه مثل الزمخشري هذا الاطراء ويقضي له بالسبق على الناس اجمعين . فهذا من فريق من لا يدققون النظر في الامور واما انا فلو كنت الحريري وكانت هذه المقامات لي لتبرأت من قبول تقريض يعجلي

(١) توفي ناصر الدين بن النقيب سنة ٦٨٧ هـ (٢) ولد عبد الله الجماعي^(٢) سنة ٥٤١ هـ

ومات سنة ٦٢٠ هـ (٣) توفي الكاتب المعروف بالبديع سنة ٥٢٤ هـ (٤) ولد ابن المعتز في شعبان

سنة ٢٤٩ هـ وقيل في ربيع الآخر سنة ٢٩٦

فريد الدنيا وفائق الناس من درج منهم ومن بقي ومن يأتي . وفي قول ابني القاسم الحريري
 ” هذا مع اعترافي بان البدیع ^(١) سباق غایات . وصاحب آیات . وان المتصدی بعده
 لانشاء مقامه ولوأتي بلاغة قدامة لا يغترف الا من فضالته ولا يسري ذلك المسرى الا
 بدلالته ” ما يشير الى انه لا يرتاح نفساً الى ان يبلغ الغاؤه في تعريض مقاماته الى حد ان
 يجعلها فوق طوق البشر كما هو صريح قول الزمخشري فيها . ولعل سائلاً يقول لو سئل
 الزمخشري ^(٢) عن قوله

معجزة تعجز كل الوری ولوسروا في ضوء مشكاته

بماذا كان يجب قلت ما كان يسعه ان يخرج من ذلك الا بان يقول انما أردت ان
 الحريري بلغ أقصى ما يستطيع ان يبلغه اكابر اهل الانشاء في وضع المقامات وانما عدلت عن
 مذهب الاختصار على الحد الاوسط الى مذهب الغاؤه تفخياً للأمر واظهاراً لمزية ذلك المنشئ
 الناشر راية الابداع الحامل لواء البراعة . على ان الزمخشري قد غلبت عليه فيما اظن نشوة
 الاستحسان لبدائعها والتعجب من روائعها حتى خيل له انها معجزة تفوت حد الفصاحة البشرية
 ولا سيما ان كان ممن يهيمون بمثانة العبارة مع التتميق والزخرفة فيكون قد رآها بعين الساري وقد
 طلع عليه البدر . هذا ولم أرَ مادحاً أرعى لقدرة العلم والانصاف من البدیع المهداني فقد
 وصف في مقامه القريضة امرأ القيس والناطقة وزهيرا وطرفة وجريراً والفرزدق والمحدثين
 والمتقدمين من الشعراء وصفاً منطبقاً على الصحة قال في امرئ القيس ” هو اول من وقف في
 الديار وعصراتها واغتدي والطير في وكناتها . ولم يقل الشعر كاسباً . ولم يجد القول راغباً
 ففضل من تفتق الحيلة لسانه . وتنتج الرغبة بيبانه ”

وقال في النابغة ” يثلب اذا حقن . ويمدح اذا رغب . ويعتذر اذا رهب فلا يرمي
 الا صائباً ”

وقال في زهير ” يذيب الشعر والشعر يذيبه ويدعو القول والسحر يجيبه ”

وقال في طرفة ” هو ماء الاشعار وطينتها وكثر القواني ومدنيتها . مات ولم تظهر اسرار
 دفائنه . ولم تفتح اغلاق خزائنه ” ثم وازن بين جرير والفرزدق فقال
 ” جرير ادق شعراً . واغزر بحراً . والفرزدق اتمن صخراً . واكثر فحراً . وجريرو
 اوجع هجواً . واشرف يوماً . والفرزدق اكثر روماً واكرم قوماً . وجريرو اذا نسب اشبه واذا

(١) البدیع المهداني توفي سنة ٢٩٨ هـ وقد أربى على الاربعين (٢) الزمخشري ولد بزمخشري

بخوارزم سنة ٤٦٧ هـ ومات في جرجانة بخوارزم سنة ٥٢٨ هـ

ثلب أردى . وإذا مدح اسنى . والفرزدق اذا افتخر اجزى . وإذا احتقر ازرى . وإذا وصف اوفى “

وقال ” المتقدمون اشرف لفظاً . واكثر من المعاني حظاً . والمتأخرون الطف صنعاً . واراق نسباً “

وشتان ما حكم البديع وحكم الحريري في مسألة المتقدمين والمتأخرين اما الاول فقد مرتب حكمه واما الثاني فقد قسم الناس الى فريقين فريق قضى للمتقدمين على المتأخرين حيث قال في المقامة المراغية ” حضرت ديوان النظر بالمراعة . وقد جرى به ذكر البلاغة . فاجمع من حضر من فرسان البراعة . وارباب البراعة على انه لم يبق من ينقح الانشاء . ويتصرف فيه كيف شاء ولا خلف بعد السلف وان المفلح من كتاب هذا الاوان يتمكن من ازمة البيان كالعيال على الاوائل . ولوملك فصاحة سبحانه وائل “

وفريق قضى للمتأخرين على المتقدمين حيث قال ” عظمتم العظام الرفات . وافنتم في الميل الى من فات وغصتم ^(١) جيلكم الذين فيهم لكم اللدات ^(٢) ومعهم انعقدت المودات . أنسيتم باجهاذة النقد . ومواودة ^(٣) الحل والعقد . ما ابرزته طوارف القرائح . وبرز فيه الجذع على القادح . من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة . والاساجيع المستلحة . وهل للقدماء اذا انعم النظر . من حضر . غير المعاني المطروقة الموارد . المعقولة الشوارد . الماثورة عنهم لتقدم الموالد لا لتقدم الصادر على الوارد “

ثم مهد لنفسه طريق الامتياز على المتأخرين والمتقدمين من البلغاء . ونادى بلسان حاله انه مع ما اخذ نفسه به من الاعنات في تلك الرسالة بالتزام ما لا يلزم البليغ من الاتيان بكلمة مهمة واخرى معجمة مع التقيد بالسجع والجناس وسائر وجوه البديع قد جاء بابلغ الكلام واسمته فبز الاوائل والاواخر

قلت لاغروان هذا المنشئ الذي يعد من اعيان الطبقة الاولى بين ارباب اليراع قد حال العجب بينه وبين الاصابة بالحكم فكان البديع اصوب منه رأياً في ذلك واصح نظراً وارمخ في البلاغة قدماً . والواصف اذا خرج من رق الهوى وانقاد لدليل الحجي كان في الموازنة كالميزان عدلاً وصدقاً . وهذا خالد بن صفوان الشبيه بالبديع في الموازنة اخالية من جذبات الحب ودفعات البغض الناطقة ببسطة العلم وصفاء الذهن قد وازن بين جرير

(١) غصتم اي عيتم (٢) اللدات المتساوون في العمر (٣) المجهاذة جمع المجهذ وهو الصراف والموازنة جمع الموبذ وهو في الاصل حاكم الجبوس فاستعيرها

والفرزدق والاخلط في مجلس هشام بن عبد الملك موازنةً انعقد عليها رضاهم واليك خبرها
قال هشام بن عبد الملك لخالد بن صفوان صف لي جريراً والفرزدق والاخلط فقال
يا امير المؤمنين اما اعظمهم نفراً وابعدهم ذكراً واحسنهم عذراً وايسرهم مثلاً . واحلام
عللاً . البحر الطامي اذا زخر . والحامي اذا دغر^(١) . والسامي اذا خطر . الذي اذا هدر^(٢) قال
واذا خطر صال^(٣) الفصيح اللسان الطويل العنان فالفرزدق
واما احسنهم نعتاً . وامدحهم بيتاً . واقلمهم فوتاً . الذي اذا هجا وضع . واذا مدح
رفع فالاخلط

واما اغزهم بحراً . وارقمهم شعراً واهتكهم لعدوه ستراً . الاغر الابلق . الذي ان
طلب لم يسبق . وان طلب لم يلحق فخرير
وكلمهم ذكي الفؤاد . رفيع العماد . واري الزناد
قال مسلمة بن عبد الملك وكان حاضراً ما ممعنا بئلك يا ابن صفوان في الاولين ولا في
الآخرين اشهد انك احسنهم وصفاً . والينهم عطفاً . واخفهم مقالا . واكرمهم فعلاً
فقال خالد اتم الله عليك نعمته . واجزل لك قسمته . انت والله ايها الامير ما علت
كريم الفراس عالم بالناس . جواد في المحل . بسام عند البذل . حليم عند الطيش . في الدروة
من قریش . من اشراف عبد شمس ويومك خير من الامس
فضحك هشام وقال ما رأيت يا ابن صفوان كتحصلك في مدح هؤلاء ووصفهم حتى
ارضيتهم جميعاً وسلمت منهم

وفي طبقات الشعراء لابن قتيبة كلام يجدر بنا في هذا المقام ذكره فروي له لك بنصه قال
” لا احسب احداً من اهل التمييز والنظر نظر بعين العدل وترك التقليد يستطيع ان يقدم
احداً من المتقدمين المكثرين الا بان يرى الجيد في شعره اكثر من الجيد في شعر غيره
ولله در القائل : اشعر الناس من انت في شعره حتى تفرغ منه

وقال المعتبي ” انشد مروان بن ابي حفصة لزهير فقال زهير اشعر الناس ثم انشد للأعشى
فقال بل هذا اشعر الناس ثم انشد لامرئ القيس فكأنما ممع به غناء على شراب فقال والله
امرؤ القيس اشعر الناس

والخلاص ان المدح والتقريض بحيث لا مصدر لهما الا الفضل والصواب كما تقدمت لنا

الإشارة إليه كان على المادح أو المقرظ أن يقطع لممدوحه أو مقرظه ثوباً من الثناء واسعاً ضائفاً ليكون في سعته ووضوه دليل على أن ذلك وإن كان حقاً إلا أنه قد خالطه شيء من تحمين الحب وما كان الحبيب ليقري حبيبه بالطعام الجشب^(١) أو ليقف بمدحه عند حد الأهلية بل يدفعه الحب إلى أن يغطي ذلك الحد تخطياً مألوفاً. وهل المدح إلا عن كرم في الطباع وكيف يتلاقى الشج والكرم في جهة واحدة وباعتبار واحد

سعيد الخوري الشرتوني

زوجها ابوها

الشعر القصصي كان شائعاً عند العرب قبل الإسلام كما ترى في أراجيزهم وبعض قصائدهم المشهورة وهو أقرب إلى الفطرة من الشعر المقصور على المدح والهجاء والغزل والرثاء والوصف والحكم أو على نظم العالوم والفنون. لكن العرب لم يبلغوا فيه مبلغ اليونان والرومان ولا مبلغ الفرس والمهثود ثم أهملوه بعد الإسلام فوضعوا قصة عنتره ثراً بدلاً من وضعها شعراً. وفعّلوا كذلك بالف ليلة وليلة. وقد رأى أبناء عصرنا أن يعودوا إلى الشعر القصصي ويجاروا فيه الأفرنج ومن ذلك هذه القصيدة وقد حدثت حادثتها في إحدى مدن سويسرا وتناقلتها الجرائد الأفرنجية. وخبرها أن أحد الشبان واسمه مولر تزوج منذ عشرين سنة بفتاة فقيرة مثله فاضطر أن يرحل عنها وهي حامل ثم انقطع خبره حتى ظنّه الناس قد مات في غربته أما زوجته فولدت بنتاً وماتت عنها ساعة وضعها فتبني الطفلة رجل غني كريم من بلدة مجاورة. وفي هذه الأيام عاد والد تلك الطفلة من سفره وقد حسنت حاله فأخبر بوفاة زوجته أما ابنته فلم يعرف عنها شيئاً ورجح له أهل بلده أنها قد تكون لحقت بوالدتها ثم فارقهم. واتفق أنه قدم بلد الرجل الذي تبني ابنته ووقع بصره عليها دون أن يعرفها فأعجب بمجالها وآدابها فخطبها إلى مربيتها فازوجه بها ثم عرف من حديثها أنها ابنته بلا ريب فلم يجد أفضل من الانتمار فالتحق بعد أن أوصى لها بثروته. انتهى الخبر ملخصاً

فتناول هذه القصة حضرة الشاعر المصري نقولاً أفندي رزق الله ونظمها فجاءت قصيدة حسنة تشهد لناظمها بالبراعة والفضل قال

(١) الجشب من الطعام ما لا أدام فيه

تزوجها لكن بغير غرام
وما كان لولا فقره بمسافر
على أنه مذ سار التي اعتماده
ثني الطرف عنها منهم "كل مرتجي"
واعرض عنها عارفوها لفقرها
فدنت يديها للسؤال برغمها
تطوف غرث بالبيوت لعلها
وكم ليلة باتت وقد غلبت الاسبى
يزيد سكون الليل حزناً فوادها
وما زال ذاك البؤس يطوي شبابها
الى ان تولأها المخاض بطفلة
قضت أمها وقت الولادة ما درت
رمتها الى الدنيا تعاني شقاءها
ومن عاش منكوداً مدى العمر عيشه

توهم قوم ابصروا البنت انها
كذلك حياة الطفل لولا عناية
ولكنها لاقت كريماً محبباً
كريم تبناها فكان لها أباً
فشبت على مهد الدلال ولم تعب
ولما مضت عشرون عاماً تسربت
فكانت تفيض السحر في قلب من ترى
نفور نفار الطي من ظل ربة
وما ذاك عن كبر ولكن لعلها
وخير حجاب للمليحة يخلها

نراى الى الشبان في الحي صيتها وللحسن صيت طائر مترام

فأقبلت الخطابُ منهم وبعضهم
وفيهما ابوها عاد من بعد غربةٍ
ويجهل كل الجهل أن له أبنه
وقد بلغ الضعفين من عمر بنته
فلما رآها عاد من غير علةٍ
فما نبذوه حينما جاء خاطباً
ولمّا عند الأكثرين كرامةٌ
وما هي إلا حفلة عقدوا بها
فكان زواجاً في الكتاب محرماً

تمازجت الروحان كل تمازج
فأذكرها ذاك الهناء شقاءها
فسالت ماقيها بدمع كلؤلؤ
فقال لها لا أكتفي الأمر واكتفي
فقصت عليه كيف عاشت بتيمة
وكيف أصيبت أمها حين وضعها
فلما انتهت مما روت ظل صامتاً
خدق في ماضيه تحديق نادم
رأى أنه جهلاً تزوج بنته
فباء بياس يذهل المرء بعضه
فأملى عليه ذلك اليأس أسطراً
يقول لها فيها مقالة والد
ومبتك مالي وهو ابني لديك من
أنمي بلا زوج غداً أو تزوجني
ولا تسألني عما لقيت فاني

كما التزم الجسمان كل لزام
وليتيم جرح في الحشاشة دام
تحدّر من سلك بغير نظام
مسيل دموع في الخلدود سخام
على فضل قوم صالحين كرام
ببوت كما شاء الشقاء زوام
لفرط جواه ملجماً بلجام
فأقشع عن عينيه شبه غمام
كرام رمى أحشاءه بسهام
ويصرعه سكرًا بغير مدام
بدمع أمي مكتوبة وضرام
يحن حنين الزوج دون ملام
حياتي التي لم أرجها لدوام
بذاك وهذا تحفظين ذمامي
لقيت "حمامي قبل يوم حمامي"

تقولاً رزق الله

القاهرة

القويُّ يأكل الضعيف

او الحق للقوة

اظهر ما في هذا الكون من الآيات بين الاحياء آية سَطَرَتْ في اديم الارض ورحاب الفضاء — وهي ان القويَّ يأكل الضعيف . وعلى هذه الاية بنى علماء البيولوجيا والطبيعة اقوالهم وشروحهم في تفسير قواعد الحياة ومنها اشتقوا قولهم " الانتخاب الطبيعي وبقاء الاصالح " اي ان القويَّ يبيد الضعيف ويرث الارض بعدهُ إما بالاعنداء عليه مباشرة كما تفعل الضواري من الحيوان وكما كان الانسان يفعل في عهد همجيتيه وإما بالاعنداء عليه بواسطة وتلك الواسطة هي الطبيعة بما فيها من حرٍّ وبرد وجوع وعري ومرض . فان هذه العوامل كلها تساعد القوي على الضعيف او تقرر الضعيف من امام القوي فالصحيح والغني اصح للبقاء وابعد عن الفناء من السقيم والفقير . وغالى اهل السياسة في هذا المذهب قولاً لما راوا شدة تمكنه بين الامم فعلاً وأنه هو المبدأ السائد للناس في معاملاتهم بعضهم لبعض فوضعوا قاعدتهم المشهورة وهي " الحق للقوة "

وتاريخ الانسان من بدء ظهوره على هذه الارض الى عهدنا الحاضر شاهد على ان هذا المبدأ لم يتغير بتغير احوال الناس في معاشهم وارتقائهم من حال البداوة والهمجية الى حال الحضارة والمدنية . فقد كانت طوائف البشر فيما مضى كطوائف الحيوان في كل زمان ومكان — يتلع القوي الضعيف ويهضم حقوقه . ولم يكن لها دأب سوى شن الغارات بعضها على بعض لجرّ مغنم او اخذ ثار وما اشبه . وهذا ما لا يزال يجري الى الآن ولكن على شكل آخر وفي زى آخر اي ان الدولة الفلانية تغصب وتسمي اغنصائها استرداد حق مفقود وتعتدي وتسمي اعنداءها دفع اهانة او تعويض شرف او انقاء شر . وقاعدة " الحق للقوة " من موضوعات القرن التاسع عشر قرن العلم والنور والعمران . وليست هذه باول مرة ظهرت الذئاب فيها يجلود الحملان

واذا كان الانسان طماعاً سلاباً نهائياً لاختيه فله اسوة بسائر الحيوان ولا لوم عليه في ذلك ما دامت الاترة سنة طبيعية عامة وانما يلام لان له ميزة على سائر الحيوان بشيء هو النفس او الروح او العقل مهما شئت سميه وحقنا ان نقول

لولا العقول لكان ادنى ضعيف ادنى الى شرف من الانسان
والحيوان يعتدي بعضه على بعض ويفترس بعضه بعضاً بطرق شتى واساليب مختلفة . فمن

السمك نوع يسمى الرامي تشبيهاً له برامي السهم عن القوس او البصاق وانما سمي كذلك لانه اذا رأى حشرة على نبتة نبتت قرب الشاطئ دنا منها الى اقرب ما يمكنه ثم ملأ فاه ماء وفذف به على الحشرة فتسقط في الماء فيلتهمها . وهو يصيب غرضه وثملا يخطئه ويكثر وجوده في انهار جزائر الهند الشرقية واهل جاوى وما جاورها يصيدونه من الانهار ويحفظونه في بركهم للعب والتسلية وذلك انهم يلتقطون له الذباب ويدنونه منه فيقذف عليه الماء من فيه حتى يقع في البركة فيلتقمه

ومن الحيوان ما يصطاد فريسته بكونه لها حيث يرى ولا يرى لعله بالسليقة ان منها ما هو شديد الحذر والتوقي على نفسه كالتمساح فانه يترصد لفريسته في الماء او بين الاعشاب اباماً لا يبدي حراكاً كأنه ميت حتى تمر من امامه فينقض عليها كالبرق الخاطف . ومن الافاعي نوع يتعلق بالاشجار من ذنبه متديلاً ويبقى كذلك لا يتحرك حتى يعسر التمييز بينه وبين الغصون التي حوله . فاذا مرت فريسته تحت الشجرة التي بنفسه عليها . وهكذا يفعل بعض انواع العلق في حراج افريقية فانه يعلق بغصون الاشجار حتى اذا مر انسان او دابة تحته سقط عليهما ليمتص دمه

ومنها النسر ملك الكواسر . وصف بعضهم صيد بعض انواعه لفريسته نثراً بمثل ما وصف النبي الاسد ملك الوحوش شعراً من قصيدته في بدر بن عمار فقال : يخلق ملك الكواسر في الجو ثم ينقض فجأة على شجرة بجانب نهر يرصد فريسته منها بعين نقدح شرراً وتبين الاشباح بجلاء ولو كانت على حدود الافاق واذن تكاد تسمع ديب النمل في قراه . وتراه آونة بعد اخرى ينظر الى اسفل خشية ان لا يطرق مسمعه ويبد الظبية وخشفها . وتجتث انثاه على شجرة في الضفة المقابلة وتصيح فيه حيناً بعد حين كأنها توصيه بالصبر وتحثه على السهر فينشر جناحيه ثم يطويهما وينحني الى الامام ويرد عليها بصراخ كأنه قهقهة الضاحك او عريضة الشارب التل ويعود فيستوي في مجتمه كالملك على عرشه . فتمر من تحته اسراب البط تباعاً سرعاً زرد الماء فلا يرمقها بنظرة كبراً وترفعاً

وفيا هو على تلك الحال يطرق اذنه واذن انثاه صوت اوزة عن بعد فتصيح الانثى صيحة شديدة وتأخذ هزة فينتفض كأن قد بلله القطر ويتحيز للانقراض على فريسته حتى اذا مرت امامه جمع نفسه في زوره وانبعث من مكنته انبعث السهم عن قوسه او الشهاب الثاقب من فلكه وهو يصق صعقات قوية تصيب اذن الاوزة فتقع عليها وقع الصاعقة وتحاول الفرار منه ولكن اين المقر وسلطان الطير هو الطالب . فتحاول إلقاء نفسها في الماء

فينمعا من ذلك بان ينازلها من اسفل فيضطرها الى البقاء طائفة حتى تقع غنمة بين يديه
ومن السمك نوع يصيد فرائسه بالحيلة فان له شبه عرف معلقاً بانفه فيدفن نفسه في
الوحد ويبقى العرف فوق الماء فاذا رأت صغار السمك العرف اجتمعت حوله ظناً ان هناك
غنمة باردة فيفتح فاه بغتة فتندثر الى جوفه وهو لم يحرك لصيدها ساكناً
ومن الحشرات ما يحفر في الارض حفرة مستديرة جوانبها من التراب والرمل الناعم فاذا
مرت حشرة اخرى بها هوت الى اسفل فاصطيدت

والعناكب تقنص صيدها بشباك تحوكمها فمنها ما يقف لفريسته بالمرصاد وسط شبكته
ومنها ما يخبئ قرب الشبكة في ثقب من الحائط فاذا وقعت الفريسة في الشبكة المنصوبة
جعلت العنكبوتة تغزل الخيوط وتلفها حولها لتمنعها من الهرب . ومن هذه العناكب عنكبوتة
في مدغسكر حيرت علماء الحيوان مدة طويلة فان في وسط الشبكة التي تحوكمها خيطاً غليظاً
لم يهتدوا الى فائدته مع طول المراقبة ولم يروها تستخدم لغرض من الاغراض . والقرب
انه اذا ازيل اسرعت فغزلت خيطاً آخر غيره . واتفق انه بينما كان احد العلماء يرانب
عنكبوتة من هذه العناكب رأى جندياً كبيراً قد وثب الى وسط الشبكة وما كاد يفعل حتى
وثبتت العنكبوتة خلفه باسرع من لمح البصر وشدت وثاقه بالخيط الكبير لان الخيوط الصغيرة
لا تكفي لذلك

ومن الحيوانات حيوان يسمى آكل النمل وطريقة صيده لها هي انه يبسط لسانه الطويل
على الارض وكل نملة تمر عليه تلتصق به لوجود مادة لزجة عليه فاذا اجتمع منها لقمة سائفة
ازدردها هنيئاً مريئاً . وكثيراً ما يغرز لسانه في قرية للنمل ثم يخرج منه حمالاً صيداً
ومن الحيوانات ما يصطاد جماعات كالكلاب البرية والذئاب والثعالب . روى بعضهم
ان الكلاب البرية تجري خلف فريستها وهي تسابق الرياح وتستحث بعضها بعضاً بالنباح
حتى تخور قوة الفريسة رعباً وتعباً . واذا طارت حيواناً لم ينقذه منها سرعة جريه ولا خفة
حركته ولا قوة عضله ولا شدة بطشه . فالغزال والنمر والذئب والاسد عندها شرع . تتبع
الفهد الهندي عن كشب وتمجم عليه فينخن فيها جرحاً وقتلاً فلا يشفيها ذلك عنه بل لا تزال
به حتى تنال مأربها منه

ومثل الكلاب البرية الذئاب فان شراسمها مشهورة ولا سيما اذا دهمها الجوع . ففي الحرب
تسير في اثر الجيوش فتستفرد المتخلفين من الجنود وتلتهم القتلى . او تهاجم المسافرين زرافان
او تجتمع زوجين زوجين وتأخذ صيدها بالحيلة . فاذا عثر الزوجان منها بقطيع من الماشية

حبا للكلب الذي يحرس القطيع كل حساب علما منهما بشدة سهره وقوة دفاعه ودقة شمه فيحاولان خداعه بالطريقة الآتية وهي انهما يدنوان من القطيع مستترقين الخطى ثم يظهر احدهما امام الكلب ويخفي الآخر منه فيهم الكلب على الذئب الذي يراه فيهرب هذا امامه والكلب في اثره فيعتنم الذئب الآخر الفرصة ويهجم على القطيع فيخطف منه شاة ويفر الى حيث يقسمها هو وشريكه

ومن الطير ما يعيش على صيد غيره فاذا رأى طائراً صاد شيئاً جده وراءه حتى يدركه فيوسعه نقرأ بمنقاره او يترك صيده فيتلقفه اذ ذاك غائماً ويعود الآخر خاسراً وزبدة القول ان هذا الكون اشبه بميدان يصل فيه الاحياء ويجولون ويتجالدون وبتطاعنون ويتسابقون تسابق خيل الطراد فلا يسبق الا الجواد ولا يسلم الا البطل او شديد الحيلة كثير الدهاء

المعالجة الحديثة (١)

ما زال الطب يجري مع الايام في مقدمة العلوم حتى وصل الى حالته الحاضرة وقد اصبح مطلب العلماء وملجأ البائسين وهو الآن كما كان قبل سريع السير كثير التقلب بعيد المرمى شريف الغاية يتناول من الحقائق جوهرها ويبني عليه اعماله العجيبة فهو صناعة دقيقة لا يمكن النجاح فيها الا بعد عناء طويل ودرس كثير وعمل دائم وحسبنا شاهداً على ما تقدم بذل العلماء نفوسهم في خدمته. ومعلوم ان الطب في استخدام الطبيعة لشفاء المرضى لا يستخدم بعض انواع المواد فقط بل كل ما يصل اليه فهو يستخلص الدواء اللازم من المعدن والنبات والحيوان والمصل والحرارة والنور والكهربائية واشعة رنتجن واشعة فسنن واشعة الراديوهم واهم جزءاً الى ما لانهاية له. على انني لضيق المقام سأحصر بحثي في ثلاثة انواع من طرق المعالجة: وفي اول المعالجة بالمصل. وثانياً المعالجة ببعض اعضاء الحيوان. وثالثاً المعالجة بالاشعة المختلفة اما المعالجة بالمصل فقد مهد لها السبيل الدكتور كوخ باكتشافه ميكروب السل ففتح باباً جديداً للبحث اتجهت اليه الابصار ودخله كثير من العلماء بالاثم المكبرة ليروا ما خفي عليهم منذ اجيال عديدة وهو ذلك الميكروب الصغير الذي كان ولم يزل سبب اكثر الامراض فدرسوا عنه ما استطاعوا وعرفوا شيئاً مهماً عن ماهيته وانواعه وكيفية نشوئه وتوليده. واتضح لهم انه كلما دخل جسماً أوجد فيه سمّاً قتالاً واضطر الجسم ان يفرز من المواد اللازمة ما يضاد

(١) خطبة للدكتور توفيق بشارة كنعان احد المتنبهين من القسم الطبي خطبها في احتفال كلية بيروت

ذلك السم وان افرز ما يكفي لمقاومته آمن شره^(١) والأهمل^(٢) ولا تحققوا ذلك جعلوا يمتحنون بعض الحيوانات كالخيل بكمية صغيرة من سموم احد المكروبات بحيث لا تضر بها لكي يتولد في الدم مادة تقاومها ثم زادوا تلك السموم فازدادت المواد المضادة لها ولم ينفكوا يفعلون ذلك حتى وصل الى الدم من المواد المضادة ما جعل تلك الحيوانات غير قابلة للسم مهما كانت قوة سم المكروب ثم اخذوا ذلك الدم المحتوي على هذه المواد وهو ما ندعوه الآن مصلاً وحققوا به من اصيب بمرض سببه نفس المكروب الذي استخدم سُمّه لاستخراج المصل نجفت وطأة المرض وكثيراً ما توقف سيره بالكلية . واعظم شاهد على ذلك مصل الدفتيريا اكتشفه بارنك و كيتسانو ووجد اورنسن طريقة لتطهيره^(٣) فقد قلل عدد الوفيات من ٦٠ الى ٢٦ في المئة^(٤) ثم ان من الامراض ما استخراج مصله ولكن لم يعم استعماله لعدم تاكد فعله كداء الجزرة (ومكتشف مصله الدكتور إيقو بندي^(٥)) والطاعون (اكتشفه بيرسن وهفكن^(٦)) وداء الكلب (باستور) والحُمى الصديدية^(٧) والحُمى العفنة^(٨) والثنتوس (كثنائي وتبزوني^(٩)) والتيفوئيد (فيدال و كرينيوم وشانتس^(١٠)) ولدغ الافاعي (كلت^(١١)) والسراجة (بوشكه وبونوم^(١٢)) والبرص (كرسكويلا^(١٣)) والزهري (بوكسن وريشو وسيبولينا^(١٤)) وهلم جرا . وقد نجح بومكرتن وهيككر في حقن العجول بمصل السل وجعلها غير قابلة الاصابة به^(١٥) اما المعالجة ببعض اعضاء الحيوان فقديمية العهد الا انه لم يخفل بها حتى نشر برون سيكار نتيجة بحثه وبرهن للعالم ان اغلب الاعضاء ولا سيما الغدد تفرز الى الدم بواسطة الجهاز اللمفاوي مادة لا يستغني الجسم عنها وان فقدتها تألم جداً وظهرت عليه اعراض مختلفة وقد يموت من جراء ذلك^(١٦) وكفى بذلك برهاناً على ان الحيوان اذا فقد الغدة الدرقية هزل وتوقف نموه واصابه به^(١٧) وتغير تركيب اعضائه المختلفة وقد ظهرت كل هذه الاعراض على من لم يكن له غدة درقية او من استؤصلت منه بعملية جراحية . وكثير من الامراض والبله وسوء تركيب الاعضاء ناتجة عن نقص في وظائف الغدة الدرقية او عن عدم وجودها . وقد قال الدكتور اوسلر^(١٨) لم تشاهد صناعة الطب تقدماً مثل تقدمها في شفاء الامراض الناشئة عن اضطراب في وظائف الغدة الدرقية واننا نخلص اولاداً قضي عليهم بالبله والموت وزد

(١) راجع كتاب "Hare's Pract. Therapeut" وجه ٤١٢ (٢) راجع Martindale's "Pharmacop." & Westcott's Extra وجه ٤٦٦ - ٤٩٠ (٣) "Hare's Pract. Therap." صفحة ٤١٥ (٤) راجع Lancet, Aug. 6, 1904 (٥) Lancet, Nov. 26, 1904 (٦) "Berlin. Klinische Wochenschrift" No. 3, 1905 (٧) Osler's "Pract. of Medicine" p. 843 (٨) "B. & W. Laborat. Researches" (٩)

الى الحياة الذين كانوا فريسة هذا الداء . وذكر انه عالج ولداً مصاباً بهذا الداء وابقاه تحت غنائه مدة ١٨ اسبوعاً وفي نهايتها وجد مريضه قد نما ٢٠ سنتيمتراً وقوي جسمه وتقدمت قواه العقلية تقدماً غريباً^(١) وقد ظهر حديثاً ان خلاصة الغدة الدرقية تنفع امراضاً كثيرة كداء قشر السمك والصدفة والسرطان وغيرها^(٢) . قال احد الاطباء متبهماً وقد ساءت به بالغة البعض في مزية الغدة الدرقية : ” لا يبعد بعد قليل ان نرى الجراحين يقطعون ارجل الناس وايادهم ثم يعطونهم خلاصة الغدة الدرقية فتتحو ثانية“

اما المعالجة بالاشعة فقد تميزت جداً لان اشعة الشمس راقت الانسان منذ نشوئه واستخدمها لشفاء امراض كثيرة . وحديثاً ظهرت اشعة رنتجن فحارت فيها العقول وصوبت نحوها الآمال لما امتازت به من خرق الاجسام التي لم تقو اشعة الشمس على خرقها فاستطاع الجراح ان يرى في الجسد الاجسام الغريبة التي دخلت اليه ويزيلها من اماكنها بكل سهولة . وما عدا ذلك فللهذه الاشعة قوة غريبة في توقيف كثير من الامراض كالسرطان والدمامل وغيرها . ثم توصل فنسن الى اكتشاف اشعته وهي عبارة عن تحليل اشعة الشمس الى عناصرها المختلفة بحيث يمكن الطبيب بواسطة آلة خصوصية ان يستعمل بعض العناصر فقط في معالجة بعض الامراض الجلدية . ومنذ عام اكتشفت اشعة الراديوم فرحب بها الانسان وجعلها تنتهي اماله لما بان فيها من الصفات الغريبة . وقد امتحنت منفعة الراديوم باستعمال مادته واشعته ومحلوله (اول من استعمل الراديوم الدكتور ليبر في نيويورك) في امراض الجلد والدمامل والسرطان والورم اللحمي والذئب والخراجات وامتنحت في خرق الاجسام فوفت بالمرام الا انها لا تفضل على اشعة رنتجن في ذلك وكثيرون من العلماء يعتقدون بمنفعة الخصوصية في بعض الاحوال كالدكتور ميرون متسنيوم والدكتور بيغارو والدكتور ليبر والدكتور ابولنت والدكتور اكسفر ولكن بعضهم يشكون في منفعة او ينكرونها بالكلية كالدكتور ترنر والدكتور هرشل والدكتور مكس اينهورن والدكتور بليمر

على ان اغلب العلماء يذهبون الى ان فائدته ستكون محدودة جداً لعدم وجود غير غرام او غرامين منه (الدكتور هوفن — ميونخ)

(١) "B. & W. Lab. Reports." (٢) ومرض كريفيس (Grave's or Parry's Disease) حامل عن نقص في الغدة الدرقية بحيث انها تنوز كمية كبيرة جداً تسم الجسم وتسبب العوارض المشهورة في هذا المرض . وقد عالج حديثاً بالـ "وانريل وبوركهت وبلومتال ونلس وميسون هذا الداء بحليب ودم بعض حيوانات استوصلت منها الغدة الدرقية ونجحوا . فان هذا الحليب والدم يحتويان على مادة تعرف باسم روداجان (Rodagen) وهذه تضاد فاعلية السم الزائد من افراز الغدة الدرقية

تاريخ محمد علي باشا

الحملة على بلاد الشام

كانت بلاد الشام على ما وصفناها به في العام الماضي في تاريخ الامير بشير الشهابي داراً
للفتن ومغنا لكل افاق يلتزمها الولاة ويأتونها اجوع من ذئاب فيبتزون اموالها ويرهقون سكانها
الارض طيبة والفلاح مجتهد يعمل في حقله نهراً ولبلاً يغرس توتة ويربي دودة
ويحل حريره ويبيعه من التجار فيسلب عامل الناحية ثمنه منه ضرائب ومغارم ويؤديه الى
والي ثمناً لمنصبه او ابقاء لما فرضه عليه والوالي يجمع الاموال ويبعث بها الى دار السلطنة
تباعاً والاعزل من منصبه

وبلاد الشام متوسطة بين اسيا واوربا تمر فيها تجارة الهند وفارس وبلاد العرب ذاهبة
الى الغرب وتجارة البلاد الاوربية ذاهبة الى الشرق . موارد الكسب فيها كثيرة ولكن
لا يبقى منه شيء لاهاليها . وجبل التجارة بين مصر والشام متصل ولكن مواردها تصب في
هوتين وتنفق على تعبئة الجيوش وترفيه العظماء

ظفرنا بالامس بكتاب فيه ترجمة الذائع الصيت الدكتور ميخائيل مشاقه نزبل دمشق
كتبه بيده ووصف فيه ما رآه في زمانه في النصف الاول من القرن التاسع عشر فرأينا
بين فصوله دلائل كثيرة على احوال البلاد المالية والاجتماعية من ذلك ان خاله الخواجه
بطرس عنخوري نزبل مصر مضى الى جبل لبنان سنة ١٢٣٧ هـ ليطلب ابنته من مرض اصاب
عينها واشترى موسم الحرير من الشيخ بشير جنبلاط وكان ينيف على الف واربعماية اقة (ولعلها
كانت تساوي حينئذ عشرة آلاف جنيه او حواليها) وكتب له صكاً بالثمن كفله فيه بيت
مشاقه ثم اراد صاحب الترجمة ان يهاجر هو وذووه الى القطر المصري مع الامير بشير الشهابي
فمضى الى الشيخ بشير ليقدم له رهناً بدل الكفالة فقال له الشيخ بشير خذ الرهن فاني اعرف
ما انت عليه وانا لم اطلب من خالك كفالة بل انتم كفلموه من تلقاء انفسكم ثم لماذا انتم
عازمون على السفر . فاجابه اننا نخشى من اعداء الامير بشير ان يسعوا في ضررنا . فقال الشيخ
بشير ان الامير وان غاب عنا شخصه ف نحن دائماً تحت امره ولا يتالك مكروه الا ما يفوتني علمه
نخذ الرهن وابقوا في بيوتكم واعمالكم وعسى الله ان يسهل طريق الامير ويرده اليانا في
اقرب وقت

قال صاحب الترجمة فرجعت واخبرت الامير فقال ابقى اذا مع اخوتك كما قال لك الشيخ
بشير ثم اقلع من معالقة الدامور قاصداً القطر المصري ولم يأخذ معه سوى مئة من اتباعه
وفي هذا الخبر البسيط دليل على وفرة الثروة في بلاد الشام وصدق المعاملة واثمان
الناس بعضهم بعضاً حتى في عصر القلاقل والفتن

وحدث قبل ذلك ان الامير بشيراً لجأ الى حوران من وجه والي صيداء قام اليها فجأة ولم
يكن في خزنته من النقود سوى ٢٨٠٠٠ غرش وبعث الى الخواجه جرجس مشاقه ابي صاحب
الترجمة ليستدين له مئة الف غرش (تساوي اربعة آلاف جنيه بمعاملة هذه الايام) من
تاجر من تجار دمشق وكتب له سنداً بالمبلغ وارسل معه من شيلان الكشمير والفراء ما ثمنه
ثمانية آلاف جنيه او اكثر ليضعها رهناً عند صاحب الدين . فذهب واخبر رجلاً من تجار الحرير
في دير القمر اسمه بطرس الجاويش وكان في دمشق ليبحث له عن صراف يدينه هذا المبلغ .
وفي صباح اليوم التالي جاء بطرس الجاويش ومعه رجل مهيب المنظر اسمه السيد محمد الجوشي
ويتبعهما زنجي حامل كيساً ثقيلاً ولما جلس قال ان الخواجه بطرس اخبرني عن المبلغ
اللازم لسعادة الامير فاحضرته في هذا الكيس . قال صاحب الترجمة فعددناه فاذا فيه ما
يساوي مئة الف غرش (٤٠٠٠ جنيه) وكلها من ارباع الذهب الفندقلي ذي الزنجير
وكانت تلك النقود نادرة حينئذ . وقال السيد محمد اني اخترت هذا الصنف من النقود لان
الامير في غربة وسائر اصناف الذهب تحتاج الى الوزن لانه يكثر النقص فيها ثم ان التعامل
بالارباع اسهل من التعامل بغيرها . فكتبنا اسمه في السند وقدمناه اليه وسألناه الى اين يريد
ان يرسل له الرهن فحكى وقال ان الامر كتب سنداً وارسل رهناً لانه كان يظن انكم قد
تأخذون المال من رجل لا يعرفه اما انا فوان كنت لم اتشرف بمعرفته قبلاً الا انني سمعت
عنه واشكر معروفكم لانكم كنتم الواسطة لا تصالي به وها انا مستعد ان اقدم لسعادته كل ما
املكه . ثم شق السند واربعه الينا ولم يقبل استلام الرهن . وارسلنا النقود الى الامير مع
السند المشقوق واخبرناه بما توقع وان الرهن باقى تحت امره فجاء الجواب منه وعن طيه تحرير
الى السيد محمد الجوشي يشكره فيه على معرفته ويخبره ان النقود البالغة مئة الف غرش
(اي اربعة آلاف جنيه) وصلت مع السند الذي شقه ولكنه يؤمل منه قبول الامتعة
المرسلة واذا ابت عليه شهادته ان يقبلها رهناً فليقبلها ودية للاحتفاظ بها من التلف بالاسفار
فرضي السيد محمد بذلك واستلم الامتعة كوديعة للمحافظة عليها . ثم لما عاد الامير الى
لبنان بعث يدعوه اليه وانزله في انحر مكان من سراي بيت الدين واحتفل به احتفالاً عظيماً

ولما اراد الرجوع الى دمشق بعد عشرة ايام البسة فرواً فاخراً وقدم له فرساً من جباد الخيل
وامر ان يدفع اليه مبلغ الدين مضاعفاً وارسل معه كتيبة من الفرسان توصله الى دمشق
وهذه القصة من اقوى الادلة على توفر الثروة في البلاد وحسن المعاملة فيها وعلى انه لو
خلت البلاد من عوامل التخريب والتدمير ولوعرف ولاية امرها كيف يقون لها موارد
الثروة ويدراون عنها اسباب الضعف والفاقة لما كنا نحمد الآن مملكة من الممالك الاوربية
هذا ولنعد الى حديث الامير بشير وحملة ابراهيم باشا على بلاد الشام فنقول

ان الامير بشير اجأ الى القطر المصري لكي يستعين بمحمد علي باشا على استرضاء الدولة
عن عبد الله باشا والي صيدا. فان عبد الله باشا هذا كان صنيعاً الامير بشير فلما تقلد الولاية
ذكر الجميل واقراً الامير على ولاية الجبل ولم يصغر الى قول الوشاة وكان تدبير اموره في يد
رجل يهودي اسمه حايم فارحي وهو سبب توليته على ولاية صيدا فانه استعان بالمعلم حزقيال
الاسرائيلي الذي كان صراف الباب العالي وارضى الدولة فولته على صيدا واعطته رتبة
الوزارة فجعل مدينة عكا الحصينة مقر ولايته كغيره من الولاة السابقين

قال الدكتور مشافه في سيرة حياته "ان عبد الله باشا لم يتصرف بالوزارة المطلوبة
منه بل صار يخالط الاوباش ويعاشرهم ويعقد حلقة الذكر منهم وكان المعلم حايم مملوءاً حكمة
وتهذيباً فساءه هذا التصرف وقدم له النصيحة الواجبة لانه كان صادق الخدمة وهو يظن ان
عبد الله باشا ينتصح بنصحه ويراعي حقوق صداقته لكنه لم ينتصح بل اخبر خلانه بما قاله له
المعلم حايم فقالوا ان هذا اليهودي قد عتا وتكبر على اهل الاسلام حتي ان البعض صاروا
يقبلون يده وقد قال القرآن العظيم ان اليهود اشد عداوة للذين آمنوا فكيف يليق بمسلم
مثلك ان يأتمنهم ويعاملهم وان عمك المرحوم سليمان باشا كان رجلاً سادجاً فكان يمسك
قرون البقرة واليهود يحملونها ويشربون لبنها وقد صارت الخزينة كلها في بيت هذا الرجل ولا
احد يعرف ما دخلها وما خرج منها والخزينة بيت مال المسلمين فهل يجوز وضعها في بيت يهودي
واثباته عليها. وبمثل هذا الكلام احنالوا على هلاك المعلم حايم فاولاً طلب منه عبد الله
باشا ان يحضر مال الخزينة من بيته ويضعه في سراي الحكومة وثانياً امره ان يلازم بيته وسلم
الخزينة الى المعلم يوسف قرداحي من موازنة صيدا بعد ان عرضها على المعلم جرجس مسدبه
فرفضها وهو من كتاب الخزينة واجتمع الشيخ مسعود الماضي وعمر افندي البغدادي عند عبد
الله باشا وقالوا له ان جميع المسلمين فرحوا برفعك نير هذا اليهودي عن اعتناقهم وبمقدار فرحهم
يخافون من مكره وسحره لانه ساحر ماهر وزد على ذلك ان له كلمة مسموعة في الباب العالي

بواسطة المعلم حزقيال الذي سعى في توجيه الولاية اليك رعاية لخاطر حايم فلا بد من ان حايم يكتب اليه الآن بما حدث والذي يقدر على التولية يقدر على العزل لاسيما واليهود اغنياء والدولة تنش عن المال لا عن الرجال فما دام حايم في قيد الحياة فلا يستريح البال من تدبيره
فصمم عبدالله باشا على قتله غير مقدر العواقب وارسل تلك الليلة ابراهيم بك الجرکسي زوج اخيه وامره بقتله فناداه الى خارج منزله وخنقه وطرحه في البحر

قال الدكتور مشاقه وقد اسف العقلاء كلهم على فقد هذا المدير الحكيم ولا سيما الامير بشير الشهابي وصار يترقب وقوع اخلاف بينه وبين عبدالله باشا حاسبا انه لابد وان يصير يصفي الى اهل الدسائس والفتن . ونزع كبار التجار من عكا الى بيروت ولبنان حذرا من قلب عبدالله باشا بعد ان رآوا ما فعل بمدير اموره . وسبب نعمته وشرع عبدالله باشا يصادر الامير بشيرا من ذلك الحين والامير يستعطفه بواسطة المعلم بطرس كرامه الشاعر المشهور لانه كان لعبد الله باشا المام بالادب فاذا حضر المعلم بطرس في مجلسه سمحه بظفره وادبه وجعله يرضى عن الامير واذا خرج من عنده غيره المفسدون عليه زاعمين ان الامير مسيحي كافر لا يجوز موالاته وان بطرس كرامه ساحر يأتي ويسمحه ويغير افكاره . ودام الحال على هذا النوال الى ان تمكن اقارب المعلم فارحي من استخاط الدولة على عبدالله باشا فعزلته وازافت ولاية صيدا الى درويش باشا والي الشام . وبلغ عبدالله باشا ذلك فارسل الى الامير بشير يطلب منه ان يرسل اليه جدعون الباحوط وهو من اهالي ساحل بيروت وكان رجلا وجيها مستقيم السيرة حسن السريرة وكان الامير يرسله في مهامه الى عبدالله باشا قبلما استخدم المعلم بطرس كرامه فارسله اليه فاخبره عبدالله باشا ان اليهود سعوا فيه عند الدولة فعزلته وولت درويش باشا وابقت ذلك مكتوما حتى يذهب درويش باشا الى الحج ويرجع وقد عيئت لمساعدته مصطفى باشا والي حلب وبرهام باشا والي ادنه وقال له قل للامير ان كنت تثبت معي فانا اقدر على مقاومتهم فكان جواب الامير انه عبد طائع له يسفك دمه في خدمته . وتم الاتفاق بين عبدالله باشا والامير بشير على ضرب درويش باشا قبل وصول والي حلب ووالي ادنه ففرداه وجاهر عبدالله باشا بالعصيان وامتنع في عكا وحصرتها جنود الدولة فغزم الامير بشير علي النجى الى القطر المصري والاتجاء الى محمد علي باشا ليتوسط لدى الدولة في العفو عن عبدالله باشا وثبته في ولايته كما تقدم

وفصل الشيخ طنوس الشدياق صاحب كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان خبر مهاجرة الامير بشير الى مصر فقال انه سار مع الامير ولده الامير خليل والامير امين واربعة

وتسعون رجلاً من خدمه منهم سبعة من بني الدحداح حتى اذا وصلت السفينة بهم الى العزة امام دمياط التقاه نائب متسلمها بكل احترام وكتب المتسلم الى الاسكندرية يخبر العزيز بحضوره فامره العزيز ان يسير الامير الى مصر وكتب الى مدبره فيها ليقدم له ما يلزم من الاكرام والميرة وانزله في قصر من قصوره وزاره ابراهيم باشا مراراً وكان يذكره في امور لبنان . ثم لما عاد العزيز الى مصر من الاسكندرية عامله بمزيد الاكرام . انتهى

وكان محمد علي قد استنصر اناساً من جبل لبنان زرعوا له التوت في القطر المصري وحاولوا تربية دود الحرير فيه فلم يفلحوا لان بزر الدود كان يفسد قبل ظهور ورق التوت لشدة الحر ولم يكن يخفى عليه مبلغ ثروة سورية من حريرها ومن وقوعها في طريق التجارة بين المشرق والمغرب ولا بد من انه كان يود الاستيلاء عليها بعد ما اخمد ثورة الوهابية وتمهدت له السودان وصار عنده من الجنود المنظمة اكثر مما عند الدولة العلية لاسيما وان الدولة كانت في ارتباك تام من حيث تنظيم جنودها فلما اتى الامير بشير اليه بالغ في اكرامه لكي يصطنعه ويستعين به عند الحاجة اليه واراه اولاً مقدار قوته وثروته وحسن تنظيمه لبلاده ثم اراد ان يعرف مقدار قوة لبنان فسأله عما اذا كان يستطيع ان يمدد باربعة آلاف مقاتل من رجاله الاشداء لحرب اليونان فقال انه يستطيع ذلك ويفعله عن طيب نفس ولما عاد الى الجبل كتب اليه محمد علي ان يعد له الرجال كما وعد فاجابه انهم مستعدون ومنتظرون امره فكتب اليه ثانية ان لا داعي لم

وبسط الامير الى محمد علي رجاءه الذي جاء لاجله وهو استعطاف الدولة على عبدالله باشا والي صيدا فكتب محمد علي الى الاسكندرية وتمكن بما له من المكانة هناك من اصدار امر عال بالعفو عن عبدالله باشا وامر آخر برده الى ولاية صيدا ورفع الحصار عن عكا ورجوع الولاة الى اماكنهم

ذكر الكولونل تشرشل في كتابه عن لبنان ان محمد علي استدعى الامير الى قصره البديع في شبرا بعد ان ابان له مكانته في الاسكندرية بالحصول على العفو عن عبدالله باشا والي صيدا وكان جالساً يحيط به ابناؤه وخواص دولته فلما دخل الامير نهض له واستقبله استقبال النظير للنظير وهش له وبش وعرفه بالذين حوله كأنه من اقاربه ومشيريه لا كأنه مهاجر ملتبس اليه وامر بنزوله عنده تلك الليلة وفي اليوم التالي اخلى به وقال له ان بلاد الشام كانت خير بقاع المعمور لما كانت مع الديار المصرية للملك واحد ثم تولاه آل عثمان فاذهبوا بروتها واستنزفوا خيراتها وبلغ من ظلم ولايتها الذين يرسلون لادارة الاحكام فيها ان ارفعوا

الرعية وجاروا عليها حتى صارت ارضهم فقراً بلقماً وجبل لبنان الذي اذا اسعده الله بوال لا يخشى العزل والارهاق يصير جنة الله في ارضه صبروه بفساد سياستهم داراً للحرب وبدناً للخصام . ويقال جملة ان بلاد الشام كلها صارت بسوء ادارتها في حالة من الضعف والاضمحلال توجب على كل محب لبلاد ان يسعى جهده في تخليصها منها وتحييز لبلاد مجاورة لما مثل بلاد مصر ان تسعى جهدها في انقاذها . ثم جعل يصف حالة القطر المصري بعد ان اصح زراعته وانشأ المصانع فيه ووسع نطاق تجارته وكيف ان ذلك كله وقع موقع الرضا والقبول لدى مولاه السلطان الاعظم كما يظهر من استعانة الدولة به على كبح جماح العصاة في بلاد اليونان وبين له انه ينوي ضم بلاد الشام الى بلاد مصر عاجلاً أو آجلاً ويعطيه ولاية لبنان له ولولاده من بعده . ولما ودعه وعاد الى منزله رأى صرة فيها اربعة آلاف جنيه هدية منه . وبعد ايام ورد الفرمان من الاستانة بالعفو عن عبد الله باشا وبثبتيه في ولاية عكا وصيداء فثبت للامير ما قاله الوزير من ان له في دار السعادة مقاماً رفيعاً وكلمة مسموعة وعاد الامير الى بلاد الشام وقوبل في عكا بالترحيب والاكرام واطلقت المدافع لتدويمه وقرئ فرمان العفو وفرمان التولية فانصرف الوزراء الذين كانوا يحاصرون عكا واعيد الامير بشير الى ولاية الجبل

وكل ما اصاب اهالي الشام من الظلم والارهاق لم يكن اشد وطأة مما كان يصيب فلاحي مصر في ذلك الحين حتى اضطر كثير من منهم ان يهجروا بلادهم وبلجأوا الى بلاد غزة وبافا فكتب محمد علي الى عبد الله باشا يطلب منه ارجاعهم الى بلادهم فلم يهتم عبد الله باشا باجابة طلبه . وكتب اليه الامير بشير ايضاً يحذره سوء العقبى ان لم يجب عزيز مصر الى طلبه وبذكرة بما له عليه من المعروف . وكان عبد الله باشا غراً مغروراً فكتب الى الامير يقول ان الدولة رفعت الحصار عن عكا لانها عجزت عنها وكيف لا تعجز وقد عجز عنها بونا بارت وكانت محصنة بسور واحد والان هي محصنة بسورين وانه لا يسمح بان يؤخذ بزر دود الحرير من الجبل الى مصر كأنه كان يخشى ان يربي الدود في مصر ويكثر فيها الحرير فينقطع طلبه من جبل لبنان . وبلغ محمد علي ذلك فاغتاظ من عبد الله باشا واضمرها له وقام ينتهز الفرص الى ان وقع الخلاف في الجبل بين الامير بشير وحزبه والشيخ بشير جنبلاط وحزبه فارسل يعرض على الامير عشرة آلاف مقاتل فاجابه شاكراً فضله وشاكياً اليه تصرف عبد الله باشا في حمايته للشيخ بشير وكان والي دمشق قد قبض على الشيخ بشير وبعض رجاله بتجديعة وارسلهم الى عبد الله باشا فأمر عبد الله باشا اولاً بحبسهم ثم انعم عليهم وطيب قلوبهم فكتب

الامير الى محمد علي يخبره بذلك ويقول له انه ما دام الشيخ بشير في قيد الحياة فلا سبيل الى راحة الجبل . فكتب محمد علي الى عبد الله باشا ليقول للشيخ بشير والشيخ امين العماد فقتلها خنقاً وبقيت جثتاها مطروحتين امام باب عكا ثلاثة ايام كأنهما فرختان او هرتان وهما من اعظم رجال لبنان واولها من اعظم رجال المشرق ولكن اذا استعمل الظلم ضاعت الاقدار والنفوس

ثم تجدد الخلاف بين محمد علي وعبد الله باشا بسبب النازحين من القطر المصري وعلم محمد علي ان حكم الجبل قد تمهد للامير بشير وحده ولم يبق له منازع فيه بعد قتل الشيخ بشير وانخذال حربه فبعث بالجنود المصرية لتدوين بلاد الشام وكتب الى الامير بشير يخبره بذلك ويدعوه الى نجدة ابنه فجمع الامير بشير امراء الجبل ومشايخه في بيت الدين وبسط لهم واقعة الحال واستشارهم في الامر ففوضوا الراي اليه لكن الدروز منهم خافوا العاقبة لانهم علموا انه ان صارت البلاد لعزير مصر ضرب عليهم الضرائب الفادحة والمغارم الثقيلة واضطروهم الى الخدمة العسكرية . ولم يجاهروا برأيهم حينئذ بل تربصوا الى ان رأوا لم فرصة للهرب والانضمام الى جنود الدولة ففعلوا . اما الامير بشير فلم ير له مندوحة عن نجدة ابراهيم باشا ولعل رجالاً من الفرنسيين رغبوه في ذلك واغروه به لانهم كانوا يعدونه بمجيء السفن الفرنسية لمساعدته كما سيجي . هذا وسنقتصر في ما يلي على ما كتبه الدكتور ميخائيل مشانه في ترجمته عن حروب ابراهيم باشا في بلاد الشام لانه حضر كثيراً منها وكان له اتصال بها قال : لما بلغ عبد الله باشا والي صيدا خروج العساكر من مصر اسرع يجهز كل ما يلزمه للحصار ونادى برفع اسعار المعاملة فزادها نحو عشرة في المئة وحضر الى الامير بشير عمدة بكتابة من الشيخ حسين عبد الهادي من مشايخ بلاد نابلس يخبره عن وصول عساكر مصر الى اراضي غزة مع ابراهيم باشا ويسأل الامير عما يشير به عليه فاجابه انه يحسن بالشيخ ان يلاقي ابراهيم باشا ويسير معه ومتى وصلوا الى امام عكا فهو يسير للقائهم . وكنت قد اتيت الى الامير اسأله كيف يريد ان يتصرف الامير سعد الدين (امير حاصبيا وكان المؤلف مدبراً له) فاجابني متى انتهى امر عكا فاخبر الامير سعد الدين وغيره عما يجب عمله واما الآن فيجب ان يكون في طاعة والي الشام كعادته . فكتبت اليه بذلك ونزلت الى بيروت لا امر يخصني فلما وصلت سمعت ان عساكر مصر بلغت صحراء عكا وان ابراهيم باشا ارسل الى الامير بشير ليؤاياه اليها فقممت الى عكا في اليوم التالي ولما وصلتها وجدت اثنين وعشرين مركباً حرياً تحيط بها ثمانية من شمالها وثمانية من غربها وستة من جنوبها امام برج الغربان ومن البر مدافع كثيرة على

في الفخار وجميعها تضرب على عكاء باتصال وعكاء تضربها وكان دخان البارود مخيمًا على المدينة حتى لم تعد ترى وبقي الضرب من الصباح الى قبل غروب الشمس بساعة ونصف فقامت المراكب الى حيفا ولم ترجع للضرب في ما بعد . والذي فهمته ان المراكب كذفت على عكاء اكثر من سبعين الف كرة ولكن تعطل اكثرها من ضرب مدافع عكاء عليها . وبقيت هناك نحو عشرين يومًا وكان يخرج نحو خمسة آلاف من العسكر المصري كل ثلاث ليالي او اربع تحت ظلام الليل الى مكان بعيد ويرجعون عند شروق الشمس ايهامًا لعسكر عكاء ان عساكر مصر لم تزل تتوارد عليهم

واشتغل العسكر المصري بجفر الخنادق المعوجة المسماة عندهم طريق النار واقاموا متاريس قريبة من الاسوار ونصبوا عليها المدافع واتموا اعمالهم هذه في ظلام الليل لكي يتقوا نيران عكاء واستمرت نار الحرب بين المتاريس واسوار عكاء نهارًا وليلاً وكان جلُّ ضرب المصريين على برج علي القريب من باب المدينة وكنت ارى انهم يعجزون عن فتح عكاء وابنت ذلك لخواجه حنا بحري فاجابني ان معنا نفرًا من كبار المهندسين وهم يعلمون ما هو الاصلح وكان في عكاء نحو ثلاثة آلاف من الجنود المجريين وكانوا يخرجون ويترشون بعسكر مصر ليحوروا الى امام مدافع الاسوار فلا يفلحون لان ضباط الجيش المصري من ذوي الدراية التامة وكانت الكتابات من الدولة تدخل عكاء ليلاً مع اناس يأتونها بالبحر سباحة . وفي احدى الليالي حدث قلق وضجيج في العسكر ثم سمع طلق البارود والصياح والاغاني الفلاحية بمدح عبدالله باشا فظننا اولًا ان جيشه كبس الجيش المصري ثم تحقق لدينا ان ستاية رجل من اهالي نابلس عزموا على ان يفتشقوا العسكر المصري ويدخلوا عكاء لمساعدة من فيها فاخترقوا المعسكر مشهرين السلاح وهم يضربون من يعارضهم والعسكر لا يستطيع ان يطلق عليهم الرصاص لئلا يصيب بعضه بعضًا ولما وصلوا الى عكاء اطلقوا عليهم الرصاص فلم يصيبوهم لان الظلام كان حالكا ودخلوا عكاء سالمين وكنا نسمع صوتهم على الاسوار يدعون لعبدالله باشا بالنصر وكان الخواجه حنا بحري مرسلًا من محمد علي باشا معاونًا لولده ابراهيم باشا مطلق التصرف في ترتيب الملكية والمالية ومجالس الشورى فباشر اتمام ما يلزم في كل الايالة على اكمل وجه لانه كان من افراد الرجال في الذكاء وسمو العقل مع الاستقامة التامة في اقواله وافعاله لخدمته وللريعية وبعد ان عرفت كل ما امكنني معرفته عن عدد العسكر وهو ان عدده ثمانية الايات من المشاة فيها ثمانية عشر الف نفس وثمانية الايات من الفرسان فيها اربعة الاف ومعهم الفان من فرسان عرب الهنادي وثلاثة واربعون مدفعا ومطبعة حجر رجعت الى دير القمر

وقابلت الامير امينا وكان وكيلاً عن والده الامير بشير وطمنته عن صحته واخبرته عما شاهدته وسمعتة وسرت الى حاصبيا واخبرت الامير سعد الدين عما رأته ايضاً وابنت له ما كنت اظنه وهو انه يستحيل على المصريين ان يفتحوا عكا عنوة في مدة قصيرة ان لم يتيسر لهم فتحها من جهة البحر لان اسوارها من جهة البر على غاية المناعة والاحكام ولا تصل المدافع الا الى اعاليها لانها مستورة بالارض العالية التي امامها وهي مفصولة عنها بخندق عميق وبعث ابراهيم باشا امير آلاي اسمه يعقوب بك ببعض الجنود الى دير القمر ليكون محافظاً فيها وسار بفرقة من عسكره الى طرابلس فهرب واليها من وجهه فدخلها ورثب امورها وتوجه منها الى حمص ثم عاد الى معلقة زحلة ومنها الى عكا

وارسلت الدولة عسكراً كثيفاً لقتال ابراهيم باشا بقيادة انجه بيرقدار باشا والي حلب فجاء بالعسكر الى حمص ثم انتقل الى تل النبي مندو تحت قرية القصير على ضفة العاصي واقام هناك ينتظر قدوم العسكر النظامي لكي يسير معه الى عكا عن طريق بعلبك والبقاع وبلغ ابراهيم باشا ذلك فارسل جانباً من عسكره الى معلقة زحلة مع بعض المدافع ليصدوا العساكر العثمانية وشدد الضرب على عكا وردم الخندق الذي امام سورها وهجم عليها برجاله فارجمته مدافعها ثم جمع جنوده وخطب فيهم وعدد المعارك التي فازوا فيها في المورة والحجاز على اقوام اشداء غير ضعفاء كالمحصورين في عكا وقال ان رجوعهم عنها خائبين عار لا ينجي على اسم العسكري المصري لا يقبله اناس اشتهروا بالشجاعة والشهامة في اقطار العالم ثم امر بالمحجم على عكا في ذلك اليوم وان تسير المدافع خلفه ولا ترجع حتى تمتلك السور ثم ساق العسكر وفتحت جهن ابوابها من الجانبين فكان اول الصاعدين على السور سليم بك ارتوز برمير الاي الطليعية وابراهيم آغا الرشاني معلم الفرسان من موارنة دير القمر ووراءهما ابراهيم باشا نفسه ولكن اصابته رصاصة ابراهيم الرشاني من سور عكا الداخلي فقتلته وحينئذ كثرت الجنود المصرية التي بلغت اعلى السور والتجم القتال مع رجال عبدالله باشا وكان قد قل عدددهم جداً من كثرة قتلاهم وجرحاهم فجاءوا الى داخل السور الداخلي ورأى عبدالله باشا ان الجنود المصرية امتلكت السور الداخلي وانه لم يبق عنده من المقاتلة سوى ثلثائة وخمسين رجلاً فسلم لابراهيم باشا وفتح له الابواب فدخل العسكر المصري واستباح المدينة واما عبدالله باشا فعمل بالاكرام وأرسل الى مصر واحسن محمد علي مقابله ورتب له ما يقوم بنفقاته فاقام مدة في القطر المصري ثم طلب التوجه الى الاستانة فارسل اليها والتمس من الباب العالي ان يقضي بقية عمره في الحجاز فارسل اليه ومات فيه . وارتفعت رتبة حنا بحري بعد فتح عكا فصار امير لواء وصار يلقب

يهرى بك وكان إبراهيم باشا يوقع الكتابات الرسمية الحاج إبراهيم والي جدة والحبشة وسر
عسكر عكا حالاً فصار يوقع سر عسكر عربستان

ثم رتب أمور عكا وأمر بتزعيم ما تحرّب من أسوارها ومبانيها وشحنها بالذخائر والمهمات
الحربية ووضع فيها الحامية اللازمة لها وجاءته نجات كثيرة من مصرف قام بالعسكر قاصداً
مدينة دمشق ومعه الأمير بشير وكان الأمير بشير قد كتب إلى والده الأمير أمين ليرسل إليه
بعض أتباعه وإلى أمراء حاصبيا وراشيا ليوافوه إلى دمشق فسرت إليها مع الأمير سعد الدين
وجميع علو باشا والي الشام عسكراً من الأكراد وأولاد البلد وأخرجهم لمقاتلة إبراهيم باشا
وصدوه عن دخول دمشق وكانوا نحو عشرة آلاف فنظرهم إبراهيم باشا من بعيد بالنظارات
وعرف فرسان الأكراد من الشوام فوجه فرسان الهنادي لمقاتلة الأكراد ونبه على العسكر
النظامي أن يقابل الشوام ولا يؤذيه بل يطلق بنادقه في الهواء وعند ما سمع الشوام صوت
النار الدائمة فرّوا هاربين أما الأكراد فقاتلوا جهدهم ثم انكسروا وتبعهم فرسان الهنادي يقتلون
منهم . وبلغ علو باشا والي الشام انكسار عسكره ففرّ من دمشق ودخلها إبراهيم باشا ولم يسمح
لعسكره بالاعتداء على أحد واطلق المناداة بالأمان وأن يبقى الجميع في أعمالهم مطمئنين . وأقام
في دمشق إلى ٤ صفر سنة ١٢٤٨ (٢ يوليو) ١٨٣٢ وترك فيها المعلم بطرس كرامة لترتيب
مجلس الشورى وولى عليها رجلاً من خواصه اسمه أحمد بك ريب كرد يوسف باشا أحد
ولاة الشام السابقين ثم خرج منها نهار الثلاثاء في ٥ صفر وعرفت عدد عسكره كله في ذلك
اليوم وهو واحد عشر ألفاً من المشاة والفان من فرسان النظام وثلاثة آلاف من فرسان الهنادي
وثلاثة وأربعون من المدافع وثلاثة آلاف من الجبال الحاملة للذخائر والمهمات وكان معه
عباس باشا ابن أخيه طوسن باشا ويكنى أحمد باشا ابن عمته . ونهار الأربعاء قام بالعسكر
إلى النبك ونزل الأمراء في دير عطية وهناك طلب الأميران يرجع اعيان دمشق إلى ييوتهم
فرجعوا . ونهار الخميس قام إلى حسبه ونهار الجمعة انعطف عن طريق حمص إلى طريق
القصير وزلت العساكر على شاطئ نهر العاصي عند تل النبي مندو حيث كان العسكر العثماني
لأنه لما بلغه فتح عكا رجع إلى حمص

وكان إبراهيم باشا يسير في رحلاته قبل الفجر بثلاث ساعات فيصل إلى آخر المرحلة عند
الضحى وساعة وصوله ذلك اليوم إلى محلة النبي مندو وصلت بقية العسكر القادمة من طرابلس
ومعلقة زحلة وهي نحو ستة آلاف فبلغ مجموع العساكر المصرية وعسكر الأمراء عشرين ألفاً
(أي المشاة ١١ ألفاً والفرسان الفان والهنادي ثلاثة آلاف وعساكر الأمراء أربعة آلاف) .

وكان المسموع ان العسكر العثماني في حمص اثنا عشر الفا لا غير

ثم اجتمع ابراهيم باشا مع امراء العسكر واقروا على الخطة التي يجرون عليها وارسل فرسان الهنادي عند نصف الليل الى حمص لمناوشة العساكر العثمانية وقام بعساكره عند طلوع النهار يوم السبت في ٩ صفر سنة ١٢٤٨ ورتب المشاة ثلاثة اقسام جعل البعد بين القسم والذي يليه نحو ميلين والامير بشير وسائر الامراء ورجالهم في ساقية القسم الاوسط وخلفهم الجمال الحاملة للذخائر والمهمات . وكان ابراهيم باشا على ظهر جواده يتردد بين الصفوف

ثم ضربت الموسيقى العسكرية ومشت صفوف العساكر في تلك السهول الفسيحة والرايات تحفق فوق رؤوسها فكان المنظر مهيبا جدا وكلما مشى العسكر اقل من ساعتين يقف يستريح وعند الساعة السادسة وربع عربية وصل الى قرية قطينة وهي على ثلاثة اميال من مدينة حمص فامتد منها الى جهة نهر العاصي الشمالي الغربي ومنها الى الجنوب الغربي فكان امتداده نحو خمسة اميال وكان عباس باشا بالفرسان والمدافع عن يمين العسكر واحمد باشا عن يساره وجعل ابراهيم باشا مقامه في القلب على تل قطينة وصدر امره للامير بشير بان يقيم بمن معه من الامراء والرجال عن يسار العسكر قرب نهر العاصي ولا يدخلوا ميدان القتال فزلنا قرب تل عال مخروطي الشكل وسند العسكر سلاحه لياكل فتواردت فرسان الهنادي على ابراهيم باشا بالرؤوس التي قطعوها والاسرى الذين اسروهم من عسكر الترك فانهم عليهم وانى على بسالتهم . وكان معسكر الترك عند تل باب عمر بعيدا عنا مسافة ميلين وعلى التل مدافع كثيرة وثارت ريح شديدة من جهة الغرب الشمالي في ظهرنا تنسف الغبار في وجه عسكر الترك وكانت الارض سهلا ناعم التراب وقد زاد نعومة بحوافر الخيل فحلا الغبار الجوسد الانفاس وكان ذلك اكبر معين للجنود المصرية على الجنود العثمانية . فصعدت الى راس التل مع البعض لارى الحرب وكان فرسان الهنادي يهجمون على فرسان الانراك كالضواري ويحفظونهم من بين جماهيرهم الكثيرة فالعشرة منهم تقابل المئة واذا تكاثروا عليهم الرجال لم يهربوا الى الورا بل ساروا عرضا الى ان تأتيم التجندات فيهمجوا على اضعاف عددهم ويقهروهم عن مراكزهم . وقبل الغروب بثلاث ساعات نظرنا فارسا جاء مسرعا من ساحة القتال ودنا من ابراهيم باشا فسار ابراهيم باشا الى حيث فرسان الهنادي ولما رايت ذلك ارسلت واخبرت الامير لانه كان لم يزل في خيمته من شدة الرياح وكثرة الغبار فصعد الى قمة التل واخذ النظارة وجعل ينظر الى ساحة القتال فقلت له اهؤلاء هم الاثنا عشر الفا الذين قتلهم عنهم في دمشق فاجابني قلنا هذا ولم يصل معنا الى هنا نصف الذين كانوا معنا فكيف لو قلنا

انهم ستون او سبعون ألفاً ولكن لا توهمك كثرتهم لانهم عند ما يسمعون تحريق الفريسي يهربون (يريد صوت رصاص العسكر النظامي والفريسي في لغة اهل الجبل قماش القطر المعروف بالخام) وبينما نحن في الكلام وصل رصاص الاتراك الينا لان عسكرهم تقدم من جهتنا فخشيت من اصابة الامير فتوسلت اليه لينزل ويعود الى خيمته من شدة الرياح والغبار فقال لا بل انك خفت من الرصاص خلافا لطبيعة اهل بلدك فاجبت اني ان خفت فلا يكون خوفي على نفسي بل على سعادتك لانك روحنا الثينة واذا نزلت ونزل عبدك ايضاً فيكون خوفي على نفسي فارجو ان تحبني وتنزل . وغايي الوحيدة نزوله . فاجابني انه على الانسان ان يتي الخاطر حين لا يضطر اليها ولا يحسن بقاؤها هنا ان كان منه خطر وكنت احتم على جميع الذين هنا بالنزول لو كان الامر كذلك ولكن لا خطر علينا لان الرصاص الواقع هنا لا عزم له فيسقط سقوطاً من فروغ عزمه ولذلك لم يغرز في الارض بل تراه مطروحاً على وجهها وصار فرسان الهنادي الذين في جهتنا يرجعون الى الوراء وعدوم يهجم عليهم ويضطرم الى التقهقر فقال الامير لا شك ان المشايخ النكدية مع الاتراك لان هذه الهجمات هجائهم (وتحققنا بعد ذلك ان النكدية كانوا هناك مع عسكر مرعش) . والتفت فرأيت عسكراً من النظام عن بعد واخبرت الامير فقال لقد حضر جاسوس هذا الصباح من معسكرهم وقال انهم خمسة وخمسون ألفاً وليس فيهم عساكر نظامية . ثم نظر بالنظارة فلم ير احداً من النظام ولكنني رأيت طرايشهم الحمراء ولمعان اسلحتهم في نور الشمس فراجعت واشرت الى مكانهم فعاد النظر اليهم بالنظارة فتحققهم وقال لا بد من ان يكونوا قد وصلوا الآن . وكان الوقت قبل الغروب بساعتين وربع وجاء فارس من عند ابراهيم باشا وتكلم مع القواد ولحال اصطفت العساكر صفاً واحداً في طرفيه الخيول والمدافع وعباس باشا مع فرسان الميمنة واحمد باشا مع الميسرة وضربت الموسيقى ومشى الجنود لمقابلة خصومهم فهرب الذين كانوا امامهم وتبعتهم فرسان الهنادي وهم نحو خمسة آلاف من فرسان الترك على ميمنة العسكر فردد عباس باشا بنار المدافع وبقي سائراً عليه نحو خمسة عشر ألفاً من فرسان الترك وهجموا دفعة واحدة فتلقاهم بمدافع الرش فانكسروا وتركوا من قتلاتهم اكثر من التي قتيل . وقبل الغروب بساعة استعرت نار الحرب بين كل الصفوف واتصلت النار الدائمة بالبنادق والمدافع من الجهتين وكانت مدافع الاتراك على تل باب عمر نقذف قنابلها على المصريين . ويا لها من ساعة شديدة الهول تفشت فيها ابواب جهنم تصب نيرانها على التجاربيين . وعند غروب الشمس سككت صوت البنادق وبقي صوت المدافع الى ما بعد الغروب بساعة ونصف ثم سككت واستولى الهدوء التام واتت البشائر الى

الامير بتمام النصر وان انجيه ببرقدار باشا هرب هو ومن معه من الوزراء وان عساكر الترك بعضها قتيل وبعضها جريح وبعضها اسير والباقيون تشتتوا

وصباح الاحد دخل الامير مدينة حمص وكانت اخيل تدوس على اشلاء القتلى مسافة ميل في سهل باب عمر وتسلم الامير احكام حمص ووجد بين الاسرى ثمانية ارميني كانوا في خدمة العسكر فاطلقهم وارسلهم الى مطران الروم . والاسرى من العسكر كانوا الايا كاملاً غير المفردات فارسلهم الى عكا . صحبة الشيخ حسين تلخوق . وجرحى الاثراك وهم نحو ستماية وخمسين سملوا للطباء مع جرحى العسكر المصري وأمر قاضي البلد ومفتيها بدفن القتلى ووكل كاتب هذه السطور بضبط متروكات الوزراء الهاربين وكانت محللتهم على نهر العاصي قرب جسر المباس فوجدتهم تركوا خيامهم بفرشها حتى ان كاتب الديوان ترك دواته الفضية واقلامه مع الورق على الارض والطبايح باقية على النار محروقة وصناديق الادوية ونسالة الكتان وقماش الاكفان وعدد وافر من الفراوي والبنشات للتلبس ومهمات كثيرة ووجدنا مخزناً في محلة سيدنا خالد مملوءاً من البن الحجازي يكتفي مؤونة مدينة . فاكملت ما موريتي ووضعت كل شيء في محله . ومدينة حمص جيدة التربة معتدلة الهواء متسعة الارضاء تحيط بها قرى كثيرة ولكن اكثرها خراب من اعتداء عرب البادية عليها . واهالي المدينة نحو عشرين الفا ربعهم نصارى والثلاثة الارباع مسلمون ولم ار فيها نصرايئاً غير مولع بالسكر وكثير منهم يكتب خطاً جميلاً وقد خرج منها افراد مشهورون بالعقل والذكاء حال كون عامتهم تغلب عليهم السداجة . وقد حكى لي قصص كثيرة عن سداجتهم لا يسعني بسطها وانما اذكر ما شاهدته بعيني وهو انه في اليوم الثاني من دخولنا حمص عرض للامير ان في ناحية تل باب عمر قتلى وجرحى من اولاد البلد يراد الكشف عنهم فارسلني لذلك فوجدتهم ثمانية رجال اربعة منهم قتلى واربعة جرحى فسألتهم عما اصابهم فقالوا اننا اتينا الى هنا للفرجة على مكان العسكر فوجدنا كرة مخشوة وفتيلها ظاهر فاردنا ان نرى كيف تصعد وتهبط فاشعلنا الفتيل ووقفنا حولها ننتظر صعودها ولا نعلم ماذا اعاقها عن الصعود ثم فقسست واصابنا منها ما تراه . فاذا في دفن الموتى ومعالجة الجرحى ورجعت وعرضت واقعة الحال للامير فقال اكثبها عندك لكي يقف منها المعلم بطرس كرامة على درجه ذكاء اهل بلده . وفيما بعد كنت اتكلم مع بحري بك فسألني عما رايته في حمص فمدحت له هواءها وماءها قال وما قولك في اهلها قلت اني وجدت لم دعوى على سعادتك وعلى المعلم بطرس كرامة فقال وما هي قلت انكما سلبتاهم نصيبهم من العقل والذكاء فقال وكيف ذلك فقصصت عليه قصة الكرة (ستأتي البقية)

منتخبات من ديوان الحماسة

وقال المقنع الكندي

وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَيَيْتَ بَنِي عَمِي اْمُخْتَلَفُ جِدًّا
فَإِنْ أَكَلُوا لَحْمِي وَفَرَّتْ لِحُومُهُمْ وَإِنْ هَدَمُوا مَجْدِي بَنَيْتُ لَهُمْ مَجْدًا
وَإِنْ ضَيَعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِنْ هُمُ هَوُوا غَيْبِي هَوَيْتُ لَهُمْ رُشْدًا
وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرًا بِنَحْسٍ ثَمَرُ بِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا ثَمَرُ بِهِمْ سَعْدًا
وَلَا أَجْمَلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَلَيْسَ رَيْسُ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا
لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعْتُ لِي غَنَى وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكْلِفْهُمْ رِفْدًا
وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شِيعَةُ لِي غَيْرَهَا تُشَبِّهُ الْعَبْدَا

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر

أَرَى نَفْسِي تُتَوَقُّ إِلَى أُمُورٍ وَيَقْصُرُ دُونَ مَبْلَغِهَا مَالِي
فَنَفْسِي لَا تَطَاوَعُنِي بِخُلٍّ وَمَالِي لَا يَبْلَغُنِي فَعَالِي

وقال مضر بن ربيعة

إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مجَاهِلِ قَوْمِنَا وَنُقِيمُ سَالِفَةَ الْعَدُوِّ الْأَصِيدِ
وَمَتَى نَخَفُ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٍ نُصْلِحُ وَإِنْ نَرَّ صَالِحًا لَا نُفْسِدِ
وَإِذَا نَمَوْا صَعْدًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِنَّا الْخُبَالُ وَلَا نَفُوسُ الْحُسَدِ
وَلَعَيْنُ فَاعِلِنَا عَلَى مَا نَابَهُ حَتَّى نُسِرَّهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ
وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَاحِ بِثَائِبٍ عَجَلِ الرُّكُوبِ لِدَعْوَةِ الْمُسْتَجِدِ

وقال قيس بن الخطيم

وَمَا بَعْضُ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارِ يَهَانَ بِهَا أُلْفَتِي إِلَّا بَلَاءُ
وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءُ كَدَاءِ الْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءُ
وَبَعْضُ الْقَوْلِ لَيْسَ لَهُ عِنَاجُ كَعَضِّ الْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِنَاءُ
يُرِيدُ الْمَرْءُ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا مَا يَشَاءُ
وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِقَوْمٍ سَيِّئَاتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءُ
وَلَا يُعْطَى الْحَرِيسُ غَنًى لِحَرْصٍ وَقَدْ يَنْبَغِي عَلَى الْجُودِ الثَّرَاءُ
غَنِي النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ غَنِيَّ وَفَقِرُ النَّفْسِ مَا عَمِرَتْ شَقَاءُ
وَلَيْسَ بِنَافِعِ ذَا الْبُخْلِ مَالٌ وَلَا مُزِرٌ بِصَاحِبِهِ السَّخَاءُ
وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ وَدَاءُ الْحُمَقِ لَيْسَ لَهُ شِفَاءُ

وقال يزيد بن الحكم الثقفي يعظ ابنه بدرًا

يَا بَدْرُ وَالْأَمْثَالُ يَضْرِبُهَا لِذِي اللَّبِّ الْحَكِيمُ
دُمُ الْغَلِيلِ بِوُدِّهِ مَا خَيْرُ وُدٍّ لَا يَدُومُ
وَأَعْرِفْ لِحَارِكَ حَقَّهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
وَأَعْلَمْ بَأَنَّ الضَّيْفَ يَوْمًا مَا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ
وَالنَّاسُ مُبْتَنِيَانِ مَحْمُودُ الْبِنَايَةِ أَوْ ذَمِيمُ
وَأَعْلَمْ بَنِيَّ فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَلِيمُ
إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَنْبَغِي لَهُ الْعَظِيمُ
وَالْقَبْلُ مِثْلُ الدِّينِ نَقْضُهُ وَقَدْ يُلَوِّى الْغَرِيمُ

وَالْبَغْيُ يَصْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
وَلَقَدْ يَكُونُ لَكَ الْبَعِيدُ أَخَا وَيَقْطَعُكَ الْحَمِيمُ
وَالْمَرْءُ يُكْرَمُ لِلْغِنَى وَيُهَانُ لِلْعَدَمِ الْعَدِيمُ
قَدْ يَقْتَرُ الْحَوْلُ النَّفَّةَ وَيُكْثِرُ الْحَمَقُ الْأَثِيمُ
يَعْلَى لِذَاكَ وَيَتَسَلَّى هَذَا فَأَيُّهُمَا الْمَضِيمُ
وَالْمَرْءُ يَبْخُلُ فِي الْحَقْوِ قِ وَلِلْكَالَةِ مَا يُسِيمُ
مَا يَبْخُلُ مَنْ هُوَ لِلْغَنَى نِ وَرَبِّهَا غَرَضُ رَجِيمُ
وَيَرَى الْقُرُونُ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَمَا هَمَدَ الْهَشِيمُ
وَتَخَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بُؤْسَ يَدُومُ وَلَا نَعِيمُ
كُلُّ أَمْرٍ سَتِيمٌ مِنْهُ الْعَرْسُ أَوْ مِنْهَا يَتِيمُ
مَا عَلِمُ ذِي وَلَدٍ أَشْكَلُهُ أَمِ الْوَلَدُ الْيَتِيمُ

وقال منقذ الهلالي

مَا أَرَى الْفَضْلَ وَالْتِكْرَمَ إِلَّا كَفَكَ النَّفْسَ عَنْ طِلَابِ الْفُضُولِ
وَبَلَاءَ حَمَلِ الْأَيَادِي وَأَنْ تَسْ حَمَّ مَنَّا تُؤْتِي بِهِ مِنْ مُنِيلِ

وقال محمد بن أبي شجاذ الضبي

إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ الْغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجِدْ بِفَضْلِ الْغِنَى أَلْفَيْتَ مَالَكَ حَامِدُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرُكْ بِجَنْبِكَ بَعْضُ مَا يَرِيبُ مِنَ الْأَذْنَى رَمَاكَ الْأَبَاعِدُ
إِذَا الْحِلْمُ لَمْ يَغْلِبْ لَكَ الْجَهْلُ لَمْ تَزَلْ عَلَيْكَ بُرُوقُ جَمَّةٍ وَرَوَاعِدُ

إِذَا الْعَزَمُ لَمْ يَفْرُجْ لَكَ الشَّكُّ لَمْ تَزَلْ جَنِيْبًا كَمَا اسْتَتَلَى الْجَنِيْبَةَ قَائِدُ
وَقَلَّ غِنَاءُ عَنْكَ مَالٌ جَمَعْتَهُ إِذَا صَارَ مِيرَاثًا وَوَارَاكَ لِأَحَدُ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ طَعَامًا تَحِبُّهُ وَلَا مَقْعَدًا تُدْعَى إِلَيْهِ الْوَلَانِدُ
تَجَلَّلتَ عَارًا لَا يَزَالُ يَشْبُهُ سَبَابُ الرِّجَالِ نَثْرُهُمْ وَالْقَصَائِدُ

وقالت حرقه بنت النعمان

وَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسِ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ تَنْصَفُ
فَأَفَّ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا نَقْلُبُ تَارَاتٍ بَنَى وَتَصْرَفُ

وقال الفرزدق

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ كَلَّا كِلَهُ أَنْأَخَ بِآخِرِنَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بَنَى أَفِيقُوا سَيْلَقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

وقال الصلتان العبدي

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرِ رَكَرُ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْعَشِيِّ
إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا أَتَى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمٌ فِتْيِ
نَرْوُحُ وَنَغْدُو لِحَاجَتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَقْضِي
وَيَسْلُبُهُ الْمَوْتُ أَثْوَابَهُ وَيَمْنَعُهُ الْمَوْتُ مَا يَشْتَهِي
تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ
إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لِمَنْ قَدْ تَرَى أُرُونِي السَّرِيَّ أَرَوْكَ الْغَنِي
أَلَمْ تَرَ لِقْمَانَ أَوْصَى ابْنَهُ وَأَوْصِيَتْ عَمْرًا فَعِمْ الْوَصِي
بُنِيَ بَدَا خَبٌ نَجْوَى الرِّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبٌ النُّجِي

وَسِرَّكَ مَا كَانَ عِنْدَ امْرِئٍ وَسِرُّ الثَّلَاثَةِ غَيْرُ الْخَفِيِّ
كَمَا الصَّمْتُ أَذْنَى لِعِصْرِ الرَّشَادِ فَبَعْضُ التَّكَلُّمِ أَذْنَى لِنَعْيِ

السفن الحربية في مئة عام



مضى مئة عام من حين انتصر نلسن في المعركة البحرية الكبيرة في طرف الغار على ساحل إسبانيا وأكثر من مئة عام من حين انتصر في أبي قير قرب الإسكندرية وهما أشهر المعارك البحرية التي حدثت في القرن الماضي وتقابلهما المعركتان البحران اللتان انتصر فيهما اليابانيون على الروس منذ شهر قليلة . وقد بودّ القارئ أن يعرف نسبة السفن الحربية التي

تبنى الآن الى السفن الحربية التي كانت تبني في ذلك العصر ونسبة مدافع الواحدة الى مدافع
الآخرى لاسيما واننا ذكرنا في ترجمة محمد علي باشا انه كان يبني السفن الحربية الكبيرة
التي تحمل الواحدة منها مئة مدفع فاكثر والسفن الحربية لا تحمل الان الا عدداً قليلاً من
المدافع فما هي النسبة بينها وبين سفن هذه الايام

اما السفن فكانت تبني من الخشب الصلد كخشب السنديان وتُجعل طبقات توضع المدافع
في كواها ثلاثة صفوف الواحد فوق الآخر على دائرها كما ترى في الصورة المتقدمة وهي صورة
بارجة الفكتري التي كان فيها نلسن لما حدثت واقعة طرف الغار على ما ذكر في الجزء الماضي
من المقتطف . ولقد كان في تلك البارجة مئة مدفع وكان طولها من طرف الى طرف ١٨٦
قدماً انكليزية وعرضها نحو ٥٢ قدماً وعمقها ٢١ قدماً ونصف قدم ومحولها ٢١٦٢ طناً .
وكان الشروع في بنائها سنة ١٧٥٩ وتمت سنة ١٧٦٥ وجدت سنة ١٧٩٨ و ١٨٢٠ فكان
عمرها اربعين سنة لما حدثت واقعة طرف الغار ولا تزال الآن في مرفأ بورتسموث فصار عمرها ١٤٠
سنة . وكان فيها مئة مدفع في ثلاثة صفوف على دائرها كما ترى في الشكل وبلغ ما انفق على
بنائها وتسليحها نحو ستين الف جنيه . وكذلك كانت السفن الكبيرة التي بناها محمد علي باشا
في الاسكندرية او بُنيت له في اوربا فان محمول السفينة منها كان نحو الي طن ونفقة الطن
من عشرين الى ثلاثين جنيهاً ولم تكن تبني باسرع مما تبني البوارج الكبيرة الآن ولكنها
كانت تخدم مدة اطول لان البارجة التي يمر عليها الآن عشرون سنة تحسب عتيقة لا تصلح
للقتال اما في ذلك العصر فلم تكن عشرون سنة ولا ثلاثون شيئاً في عمر البوارج

ولكن النسبة بين البوارج التي كانت تبني في اول القرن الماضي والبوارج التي تبني الآن
كالنسبة بين الزورق الصغير والمركب الكبير مثال ذلك ان البارجة الانكليزية المسماة بالملك
ادورد السابع محمولها ١٦٣٥٠ طناً اي ثمانية اضعاف محمول الفكتري وقد بلغت نفقات بنائها
وتسليحها مليوناً ونصف مليون من الجنيهات فهي تساوي خمساً وعشرين بارجة مثل الفكتري
في ما انفق عليها واكثر من خمسين بارجة مثلها من حيث القوة ولو التقت بكل البوارج التي
كانت في طرف الغار من انكليزية وفرنسية واسبانية لتغلبت عليها ومزقتها ارباً

وعند الانكليز ثمانى بوارج من طراز الملك ادورد محمول كل منه او تفرغها ١٦٣٥٠
طناً وسلك درعها ٩ بوصات وقوة آلاتها البخارية ١٨٠٠٠ حصان وسرعتها ١٨ ميلاً بحرياً
ونصف ميل في الساعة . وبارجتان من طراز نلسن تفرغ كل منها ١٦٦٠٠ طن وسلك درعها
١٢ بوصة وقوة آلاتها البخارية ١٦٧٥٠ حصاناً وسرعتها ١٨ ميلاً ونصف ميل . وسبع عشرة

بارجة مما تفرغ كل منها ١٥٠٠٠ طن وتمثل الآتيا البخارية مما قوته ١٨٠٠٠ حصان الى ما قوته ١٢٠٠٠ حصان والتي قوتها ١٨٠٠٠ حصان وسرعتها ١٩ ميلاً بحرياً في الساعة وعند فرنسا ست بوارج مما تفرغ كل واحدة منها ١٤٨٦٥ طناً وسمك درعها ١١ بوصة وقوة الآتيا البخارية ١٨٠٠٠ حصان وسرعتها ١٨ ميلاً بحرياً في الساعة

وعند الولايات المتحدة الاميركية خمس بوارج تفرغ كل منها ١٥٠٠٠ طن وسمك درعها ١١ بوصة وقوة الآتيا البخارية ١٩٠٠٠ حصان وسرعتها ١٩ ميلاً بحرياً في الساعة وقد انزلتها كلها الى البحر سنة ١٩٠٣ وانزلت سنة ١٩٠٤ بارجة تفرغها ١٨٠٠٠ طن وكانت تبني خمس بوارج اخرى من طرازها تفرغ كل منها ١٨٠٠٠ طن وسمك درعها ١٢ بوصة وعندها ثلاث بوارج تفرغ كل منها ١٢٣٠٠ طن وقوة الآتيا البخارية ١٦٠٠٠ حصان وسرعتها ١٨ ميلاً بحرياً في الساعة

وعند اليابان بارجتان تفرغ كل منهما ١٥٣٦٢ طناً وسمك درعها ٩ بوصات وقوة الآتيا البخارية ١٥٠٠٠ حصان وبارجة تفرغها ١٤٨٥٠ حصاناً وقوة الآتيا البخارية ١٤٥٠٠ حصان وسرعتها ١٨ ميلاً وهي تبني بارجتين تفرغ كل منها ١٦٤٠٠ طن وسمك درعها ٩ بوصات وقوة الآتيا البخارية ١٨٠٠٠ حصان وسرعتها ١٨ ميلاً في الساعة

وعند ايطاليا بارجة تفرغها ١٥٩٠٠ طن وقوة آلتيا البخارية ١٥٧٩٧ حصاناً واربعة بوارج تفرغ كل منها ١٢٦٢٥ طناً وقوة آلتيا البخارية ١٩٠٠٠ حصان وسرعتها ٢٢ ميلاً في الساعة وبارجة تفرغها ١٣٨٦٠ طناً وقوة آلتيا البخارية ٢٢٨٦٠ حصاناً وسرعتها ١٩ ميلاً ونصف ميل وبارجة تفرغها ١٥٩٠٠ طناً وقوة آلتيا البخارية ١٥٧٩٧ حصاناً وسرعتها ١٧ ميلاً في الساعة

هذا من حيث جرم البوارج وقوة آلتيا البخارية . والبوارج التي كانت شائعة في اوائل القرن الماضي لم تكن مدرعة اما البوارج الآن فمدرعة كلها وقد بالغوا في سمك درعها اولاً لما كان يصنع من الحديد الصاج فعند الايطاليين بارجتان من هذه البوارج سمك درع كل منها ٢٢ بوصة ونصف بوصة اما الآن فابدل الحديد الصاج بالصلب ولا يزيد سمكه على ١٢ بوصة ولكنه امن من ثلاثين او اربعين بوصة من الحديد الصاج

وكانت المدافع القديمة صغيرة الحجم جداً موضوعة على مركبات من الخشب مخشي باليد ثم كبرت رويداً رويداً حتى صار وزن المدفع منها مئة طن وطوله ٣٥ قدماً ووزن قنبلته ٢٠٠٠ رطل ووزن البارود الذي تطلق به ٤٥٠ رطلاً وهي تخرق صفيحة من الحديد الصاج

سمكها ٢٣ بوصة . ثم صُغرت هذه المدافع واثقن صنعها وبنيت من اسلاك الصلب فصار وزن بعضها ٣٢ طناً فقط ووزن قنبلته ٥٠٠ رطل ووزن البارود الذي تطلق به ٢٥٠ رطلاً وهي تحرق ما سمكه ٢١ بوصة من الحديد . والمدافع الكبيرة المستعملة الآن ثقل المدفع منها خمسون طناً وتحرق قنبلته ما سمكه ٤٢ بوصة من الحديد الصاج . ومدفع ارمسترانج الذي قطر فوهته ١٢ بوصة تحرق قنبلته ما سمكه ٥١ بوصة من الحديد الصاج واطلاقه سهل جداً حتى يطلق مرتين كل دقيقة . والغالب ان يكون في البارجة من البوارج الحديثة اربعة من هذه المدافع الاخيرة واربعة مما قطر فوهته ٩ بوصات و٤ او ٦ مما قطر فوهته ٦ بوصات عدا المدافع الصغيرة جداً وانايب الطريد

ولانبالغ اذا قلنا ان البارجة من بوارج هذه الايام بمثابة خمسين بارجة من البوارج التي كانت عند الانكليز والفرنسيين وقت معركة طرف الغار او من البوارج التي كان يبنها محمد علي باشا . هذا ما صارت اليه السفن الحربية في المئة العام الماضية واكثر ما حدث فيها من التغيير انما هو في العشرين سنة الاخيرة ومن يدري ما تصير اليه في المئة العام التالية

الاحتضارات والقبريات

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوم مدرس آداب اللغة العربية والمحاضرة في الكلية الشرقية في زحلة (لبنان)

١ الاحتضارات

عثرت في اثناء مطالعتي على كثير من اقوال المحضرين (من احتضر الرجل احتضاراً على المجهول اذا حضره الموت فهو محضر) عند العرب وغيرهم من النجم وقرأت مقالة باللغة الانكليزية ووقفت على بعض القبريات (ما يكتب على القبور) عند الفريقين فجمعت ذلك في هذه المقالة لعلها تروق في اعين القراء الكرام لما فيها من موارد الحكم ومراي الاخلاق وغرائب العادات وتختلف الاعتقادات وبلغ العظا . ولقد اخترت من مختلف الروايات في كثير من النقول العربية ما يرفع عن القارىء الارتباك وعلني اصبت المرمى فاقول

احتضارات العرب

كان يعرب بن فحطان جد العرب حكيمًا لبيبًا فلما حضرته الوفاة احضر بنييه واوصاهم بقوله

"باني" تعلموا العلم واعملوا به واتركوا الحسد عنكم ولا تلتفتوا إليه فإنه داعية القطيعة بينكم وتجنبوا الشر وأهله فإن الشر لا يجلب عليكم إلا الشر وانصفوا الناس من انفسكم فانهم يصفونكم من انفسهم. واجتنبوا الكبرياء فانها تبعد قلوب الرجال عنكم وعليكم بالتواضع فإنه يربكم من الناس ويحببكم اليهم. واذا استشاركم مستشير فاشيروا عليه بما تشيرون به على انفسكم في مثل ما استشاركم فيه. فانها امانة قد القاها في اعناقكم وانشأ يقول

أوصيكم بما وصى أباكم أبوه عن أبيه عن الجدود
أذيعوا العلم ثم تعلموه فما ذو العلم كالغمر البليد
ولا تصفوا الى حسد فتغفوا غواية كل مخبل ^(١) حسود
وذودوا ^(٢) الشر عنكم ما استطعتم فليس الشر من خلق الرشيد
وكونوا منصفين لكل دان لينصفكم من القاصي البعيد
وباب الكبر عنكم فانركوه فان الكبر من شيم العبيد
عليكم بالتواضع لا تزيدوا على فضل التواضع من مزيد
وان الصغى افضل ما ابتغيتم به شرقاً من الملك العتيق ^(٣)
وحق الجار لا تنسوه فيكم تناولوا كل مكرمة وجود

وأوصى أبرهة ذو المنار ولده عمرًا ذا الاذعار عند احضاره بقوله: (تولى عمرو الملك قبل المسيح بثلاثين سنة)

يا عمرو انك ما جهلت وصيتي إياك فاحفظها فإنك ترشد
يا عمرو لا والله ما ساد الورى فيما مضى إلا المعين المرفد ^(٤)
يا عمرو من يشري العلمى بنواله كرماً يقال له الجواد السيد
كل أمرى يا عمرو حاصد زرعه والزرع شيء لا محالة يحصد
واصل ذوي القرى وحطهم إنهم بهم تذل الأبعدين وتكمد

وقال مالك بن فهم أول ملوك العرب في الحيرة لما رأى سليمة بن مالك يرميه بسهم قتله به: جزاني لا جزاه الله خيرًا سليمة إنه شرًا جزاني
أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

وقال مالك بن ريب التميمي يري نفسه ويصف قبره لما لسعته الافرعى واحس بالموت

(١) المخبل الفاسد العقل (٢) كفوا وادفعوا (٣) المحاضر المجها (٤) بمعنى المعين والمعطي

من قصيدة طويلة تعد من المراثي المشهورة عند العرب :

ألا ليت شعري هل ابنت ليلةً ^(١) القلوص ^(٢) النواجيا ^(٣)
 يجنب الغضا أرحي

الى ان قال :

وأشقر خنذير ^(٤) يجر عنائه
 ولما تراءت عند مرو منيتي
 أقول لأصحابي ارفعوني فاني
 وباصحابي رحلي دنا الموت فانزلا
 أقيم علي اليوم او بعض ليلة
 وقوما اذا ما استل روجي فحيثا
 ولا تحسداني بارك الله فيكما
 وخطأ بأطراف الأستة مضجعي
 خذاني فجراني ببردي اليكما
 وقد كنت عطفاً اذا الخيل أدبرت
 وقد كنت محموداً لدى الزاد والقرى
 وسوى السيف والرمح الرديني بأكيما
 وحل بها جسمي وحانت وفائيا
 يقر بعيني أن سميل بداليا
 براية اني مقيم ليا ليا
 ولا تعجلاني قد تبين مايا
 لي الصدر والاكفان ثم ابكيانيا
 من الارض ذات العرض ان توسعا ليا
 وردا علي عيني فضل ردايا
 فقد كنت قبل اليوم صعباً قياديا
 سريعا إلى الهيجا إلى من دعايا
 وعن شتم ابن العم والجار وانيا

وهكذا الى آخرها وهي بليغة تثير العواطف

ولما حان ارتحال نزار بن معد الى الآخرة دعا باولاده الاربعة مضر وربيعه وإباد وأثار
 بين يديه وأوصاهم قائلاً "إعلموا يا اولادي اني راحل عنكم الى الآخرة . وما احضرنكم الا
 لاشرح لكم وصيتي فاحفظوا ما اقول لكم ولا تخالفوا وصيتي فيخل بكم الوبال" — قالوا : ما هي
 وصيتك يا ابانا — قال : "وصيتي لكم هي ان بوقر صغيركم كبيركم يا اولادي . اياكم والتكبر
 فانه مهلك الجبابرة . ما ولع به احد الا هلك . وفي غير طريق الحق سلك . يا اولادي
 اياكم والحسد . فانه يقلل الرزق ويذيب الجسد . والحسود لا يسود . ولا يموت الا
 مكود . واياكم والطمع فانه يرمي صاحبه في البلاء والعذاب . والقناعة غناء . يا اولادبي
 اياكم والنجل فيبعدكم من الله ومن الخلق . ومن هان عليه ماله . حسنت حاله . وسمع مقاله .
 يا اولادي آسوا الناس بالطعام واكثروا البشاشة . وافشوا السلام . وصلوا بالليل والناس
 نيام . يا اولادي اياكم والكسل . فانه يورث الفشل . يا اولادي اياكم والغضب فانه يورث

(١) ادفع برفق وأسوق (٢) الناقة الشابة كالمجارية من النساء (٣) جمع الناجية يعني

السربة ويقال انها للأنثى خاصة (٤) المجيد من الخيل والفحل

السنطة . والبشاشة في الوجه تورث المحبة وهي خير من القرى . ومن لانت كلمته وجبت
ممنه . يا اولادي لا تخالفوا وصيتي . واعلموا اني قد قسمت اموالي بينكم بالسوية . وجعلت
نصف كل واحد منكم في كتابي هذا . فاذا وضعتوني في حفرتي وغابت عنكم جثتي . وات
العرب لغزائي فاذهبوا لهم من نعمي ^(١) . واذا تفرقت العرب عنكم فاعتمدوا على كتابي ووصيتي
ولا تنبروا الحرب بينكم اهـ

وقال عبيد بن الابصر لما امر النعمان بقتله (نحو سنة ٦٠٠ م) وهو يتأهب له :

ألا ابغى بني واعمامهم بأن المنايا هي الواردة
لها مدة فنفس العباد اليها وإن كرهت قاصدة
فلا تجزعوا لحمام دنا فلهوت ما نلد الوالدة
ووالله ان مت ما ضرني وان عشت ما عشت في واحدة

وقال يرثي نفسه :

باحار ^(٢) ما راح من قوم ولا ابتكروا إلا ولوت في آثارهم حاد
باحار ما طلعت شمس ولا غربت إلا تقرب آجال لميعاد
هل نحن إلا كأرواح يمر بها تحت التراب واجساد كأجساد
واستشهده النعمان قبل قتله قصيدته البائية الشهيرة التي مطلعها :

أقفر من اهله ملحوب فالتقطيات فالذنوب ^(٣)

الى ان قال :

وكل ذي غيبة يؤوب ^(٤) وغائب الموت لا يؤوب
أعاقب مثل ذات رحم ^(٥) او غانم مثل من يخيب
من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يخيب
بالله يدرك كل خير والقول في بعضه تلغيب ^(٦)
والله ليس له شريك علام ما أخفت القلوب
أفلح ^(٧) بما شئت قد يبلغ بالضعف وقد يخدع الاريب ^(٨)
لا يعظ الناس من لا يعظ الدهر ولا ينفع التلييب ^(٩)

(١) ما شيتي (٢) ترخيم حارث (٣) ملحوب والتقطيات والذنوب اسماء اماكن فالاولى اسم مياه
لبنى اسد بن حزيمة والثانية اسم جبل والثالثة اسم موضع في ديار بني اسد (٤) يعود ويرجع (٥) الولود
وفي ضد الغافر (٦) ضعف وافك (٧) عش وبروي الفصح بعناها (٨) العاقل
(٩) تكلف اللب من غير طبع فهي بمعنى التعاطع

الآ سحيات ما القلوب وكم يرى شائناً ^(١) حبيب
ساعد بأرض ان كنت فيها ولا ثقل انني غريب
قد يوصل النازح النائي وقد يقطع ذو السهمه ^(٢) القريب
والمرء ما عاش في تكذيب طول الحياة له تعذيب

وهي طويلة اوردها صاحب شعراء النصرانية في صفحة ٦٠٥ فراجعها
ولما احضر ذو الاصبع العدواني دعا ابنه أسيداً فقال: "يا بني ان أباك قد فني وهو
حي وعاش حتى سئم العيش واني موصيك بما ان حفظته بلغت في قومك ما بلغته فاحفظ عني:
أن جانبك لقومك يحبك . وتواضع لهم يرفعوك . وابسط لهم وجهك يطيعوك . ولا
تستأثر عليهم بشيء يسودوك . واكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم . وبكبر على
مودتك صغارهم واسمح بمالك واحم حريمك واعزز جارك وأعن من استعان بك واكرم
ضيفك واسرع النهضة في الصريح فإن لك اجلاً لا يعدوك ^(٣) وصن وجهك عن مسألة
أحد شيئاً فبذلك يتم سؤددك . ثم انشأ يقول

أسيد ان مالا ملكت فسر به سيداً جميلاً
أسيد ان أزعمت من بلد الى بلد رحيلاً
آخر الكرام ان استطعت الى إخوانهم سبيلاً
فاحفظ وان شط ^(٤) المزار أخاً أخيك والزميلاً ^(٥)
واشرب بكأسهم وان شربوا بها السم الثميلاً ^(٦)
واركب بنفسك ان هممت بها الحزونة والسهولاً
أهن اللثام ولا تكن لإخوانهم جلاً ذلولاً
وصل الكرام وكن لمن ترجو مودته وصولاً
ان الكرام اذا تواخيم وجدت لهم قبولاً
ودع التواني في الأمور وكن لها سلساً ذلولاً
ودع الذي يعد العشرة ان يسيل ولن يسيلاً
ابني ان المال لا يبكي اذا فقد الخيلاً
وابسط يمينك بالندی وامد لها باعاً طويلاً
وابسط يديك بما ملكت وشيد الحسب الاثيلاً

(١) مبغضاً (٢) النصيب (٣) لا يتجاوزك (٤) بعد (٥) الرفيق (٦) يظهرانها من المال وهو السم النفع

واعزم اذا حاولت أمراً يفرج الهمَّ الدخيلاً
وابذل لضيفك ذات رحلك ^(١) مكرماً حتى يزولا
واحلل على الأيفاع ^(٢) للعافين ^(٣) واجتنب المسبب
واذا القروم تخاطرت يوماً وارعدت الخصيلاً ^(٤)
فاهصر ^(٥) كهصر الليث خضب من فريسته التليلاً ^(٦)
وانزل الى الهيجا اذا ابطالها كرهوا النزولا
واذا دعيت الى المهم فكن لفادحه ^(٧) حمولا
وقال دريد بن الصمة لما ادركه ربيعة بن ربيع السلمي وهم يقتله (سنة ٦٣٠ م)
فويح ابن أمة ماذا يريد من المرعش ^(٨) الذاهب الادر ^(٩)
فاقسم لو أن بي قوة لوت فرائصه ^(١٠) ترعد
وياهلف نفسي ان لا تكون معي قوة الشايع الامر
ثم ضربه السلمي بسيفه فلم يغز شيئاً . فقال له : "بش ما سلحتك أمك . خذ سيفي
هذا من مؤخر رحلي في القراب فاضرب وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ ^(١١) . فاني
كذلك كنت افعل بالرجال . ففعل كما قال فوقع صريعاً
ولما حضرت عمرو بن كلثوم الوفاة وقد عمر قرناً ونصفاً جميع بنيهِ فقال لهم : "يا بني قد
بلغت من العمر ما لم يبلغه أحد من آبائي . ولا بد أن ينزل بي ما نزل بهم من الموت واني
والله ما عبرت أحداً بشيء إلا عبرت بمثله ان كان حقاً فحقاً وان كان باطلاً فباطلاً فكفوا
عن الشتم فإنه أسلم لكم واحسنوا جواركم يحسن ثناءكم . وامتنعوا من ضم الغريب واذا حدثتم
فكفوا ^(١٢) واذا حدثتم فأوجزوا فان مع الاكثار تكون الاهدار ^(١٣) واشجع القوم العطوف بعد
الكر كما ان اكرم المنايا القتل ولا خير في من لا روية له عند الغضب . ولا من اذا عوب
لم يعتب ^(١٤) . ومن الناس من لا يرجي خيره ولا يخاف شره . فبكوه ^(١٥) خير من درره
وعقوفه خير من بره اه "

(١) كناية عن المطية (٢) جمع يقع وهو المرتفع من الارض (٣) جمع عاف بمعنى الضيف (٤) جمع
خصلة وهي القطعة من اللحم (٥) لاجذب وامل ومنها سمي الاسد الهصور (٦) العنق (٧) الامرالمهم
(٨) المرتعد او السرقد هرم (٩) الذي ذهب استانه كناية عن الهم (١٠) جمع فريضة وهي محبة
بين النسوة والكثير ترعد عند الخوف (١١) كني بذلك عما بين المجذع والراس واراد العنق
(١٢) من وعى اي حفظ (١٣) كثرة الكلام (١٤) لم عتبه وهزته للساب (١٥) قليلة من بكأت
الناقة اذا قل لبنها

وقال أمية بن أبي الصلت لما اشتد عليه مرضه وقربت ساعته: "قد دنا أجلي وهذر
المرضة منيتي وأنا أعلم أن الخنيفة حق ولكن الشك بداخلي في محمد" ولما دنت وفاته أغى
عليه قليلاً ثم أفاق ورفع رأسه فنظر حيال^(١) باب البيت وقال
ليكما ليكما ليكما ها أنا ذا لديكما

لا عشرتي تحميني ولا مالي يفديني. ثم أغمى عليه أيضاً بعد ساعة احق ظن من
حضره من أهله أنه قد قضى. — ثم أفاق وهو يقول:

ليكما ليكما ليكما ها أنا ذا لديكما
لا بري فاعذر. ولا قوي فانتصر. ثم أنه بقي يحدث من عنده ساعة — ثم أغمى
عليه مثل المرتين الأولين حتى يئسوا من حياته وأفاق وهو يقول:
ليكما ليكما ليكما ها أنا ذا لديكما

محفوف بالنعيم

ان تغفر اللهم فاغفر جمًّا وائي عبد لك لا المأ^(٢)

ثم أقبل على القوم فقال: قد جاء وقتي فكونوا في أهبي وحدّثهم قليلاً حتى يش القوم
من مرضه وإنشأ يقول

ان يوم الحساب يوم عظيم
ليتني كنت قبل ما بدا لي
كل عيش وان تطاول دهرًا
اجعل الموت نصب عينك واحذر
شاب فيه^(٣) الصغير يوماً ثقيلاً
في رؤوس الجبال ارعى الوعولا
منتهى امره الى ان يزولا
غولة الدهر ان الدهر غولا

ثم فاضت نفسه في نحو سنة ٦٢٤ م

وبينا كان امرؤ القيس الشاعر عائداً من بلاد الروم وصل انقره فاشتد عليه فيها داء
السل فلم يبرحها حتى أحضر فقال مشيراً الى قبر امرأة من بنات الملوك في سفح جبل عسب

اجارتنا ان الخطوب تنوب وافي مقيم ما اقام عسب
اجارتنا أنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسب
فان تصلينا فالقربة بيننا وان تهجرنا فالغريب غريب

(١) قبالة وازاء (٢) الم باشر اللهم اي صغار الذنوب (٣) غير ظاهرة ولعلها شاب عن أي

ويروى له قوله عند احتضاره أيضاً :

ألا أبلغ بني حجر بن عمرو
باني قد هلكت بأرض قوم
ولو اني هلكت بأرض قومي
أعالج ملك فيصر كل يوم
بأرض الشام لا نسب قريب
ولو وافقتهم على أسير
على قلبي تظلم مقلدات
(توفي سنة ٥٢٩ م وقيل في غيرها)

وأبلغ ذلك الحي الحديد
سميحاً من دياركم بعيدا
أقلت الموت حق لا خلودا
وأجدر بالنية ابن نقودا
ولا شاف فيسند أو يعودا
وحاقة أذ وردن بنا ورودا
أزمتهم ما يعدقن (١) عودا
ستأتي البقية

الاتون الكهربائي

وعمل الماس والياقوت

إذا بلغت الحرارة درجة واحدة فوق الصفر اذابت الثلج وصيرته ماءً وإذا بلغت مئة درجة أغلت الماء وصيرته بخاراً ٠ وإذا بلغت ٣٢٦ درجة صهرت الرصاص وصيرته سائلاً وإذا بلغت ٩٦٠ درجة صهرت الفضة واسالتها وإذا بلغت ١٠٦٢ درجة صهرت الذهب واسالته وإذا بلغت ١٠٨٠ درجة صهرت النحاس وإذا بلغت ١٦٠٠ درجة صهرت الحديد وفي اشد حرارة يوصل اليها في الاتون الذي يوقد فيه الفحم ويجري فيه الهواء الساخن بدل الهواء البارد. لكن من المعادن ما لا يصهر بهذه الحرارة كالبلاتين والاسميوم فلا يمكن صهره في الاتنين العادية . فان البلاتين لا يصهر الا عند الدرجة ١٧٧٠ والاسميوم لا يصهر الا عند الدرجة ٢٥٠٠ فكيف يمكن الوصول الى هذه الحرارة

لاحظ العلماء من عهد طويل انه اذا أشعل الأكسجين والهيدروجين معاً تولدت من اشتعالهما حرارة شديدة جداً فصنعوا من ذلك ما سمي بالبورى الاكسيهيدروجيني ورأوا ان الحرارة ترتفع فيه الى الدرجة ٢٠٠٠ فتذيب كل المعادن المعروفة ما عدا الاسميوم وهذه الحرارة تقارب حرارة باطن الارض التي اذابت المعادن وكوّنت منها الحجارة الكريمة كالياقوت فان هذا الحجر الكريم يكاد يكون الوميّنا صرفاً والا لوميّنا هو الطفال او الدلفان

(١) تروى هكذا والصلوب بعرفن اي يقشرون من عرق اللحم عن العظم اي جرده

وهو طين كثير الوجود جداً ولا قيمة له لكثرتيه فاذا سحق ووضع مسحوقه في البوري
الاكسيهيدروجيني ذاب من شدة الحرارة والتحمت دقائقه بعضها ببعض وصارت مادة زجاجية
شفافة وهي الياقوت الصناعي الذي لا يفرق عن الياقوت الطبيعي لا في لونه ولا في صلابته
بل قد يكون اجمل لوناً واشد صلابة من الياقوت الطبيعي وهو يجمع على طرف البوري نقطاً
صغيرة او كبيرة وقد يبلغ وزن الكبيرة ١٠ قرايط الى ١٥ قراطاً

لما تمكن العلماء من عمل الياقوت خطر لهم ان يحاولوا عمل الماس . ومن المؤكد ان
الماس فحم متبلور فاذا امكن ان يصهر الفحم من غير ان يحترق ثم يترك حتى يتبلور فلا يعد ان
يصير ماساً غالي الثمن لكن حرارة الاتون العادي لا تصهر الفحم ولم تكن تعرف طريقة لصهره
الى ان بحث الاستاذ مواسان في هذا الموضوع فوجد ضالته في الاتون الكهربائي فانه اذا
اتصل القطبان الكهربائيان في بونقة ارتفعت الحرارة الى الدرجة ٢٧٧٠ بميزان سنتغراد او
الى درجة ٥٠٠٠ بميزان فارنهایت . وقد خطر له ان الماس قد يصنع بواسطة الاتون الكهربائي
من رؤيته حجارة صغيرة من الماس في بعض الحجارة النيزكية فقد أرسلت اليه قطعة من
النيزك الذي وقع في وادي ديابلو باميركا فخلله ووجد فيه حجارة صغيرة من الماس الاسود
والماس الابيض الشفاف فاستنتج ان الكربون صهر وهو في الحديد ثم تبلور فصار ماساً . ولا
بد ان الحرارة التي صهرته كانت شديدة جداً تكفي لصهر الحديد وتزيد فلما برد تبلور كما
تتبلور اكثر المواد التي تبرد بعد ما تكون مصهورة . ولكن لا بد من ضغط شديد حتى يتبلور
الماس في الحديد وهذا الضغط يحصل من تجمد سطح الحديد بغثة فان داخله يتدد حيناً
يشرع في التبلور ولا يجد الى تمدده متسعاً لان سطح الحديد الظاهر يكون قد جمد فيضغط
باطنه بعضه على بعض ضغطاً شديداً جداً فيتبلور الكربون الذي فيه من البرد والضغط .
وقال المسيو مواسان انه اذا استطاع ان يقلد الطبيعة فيذيب الكربون في قطعة من الحديد
المصهور بجملة شديدة جداً كالحرارة التي في باطن الارض او كالحرارة التي تذوب بها
الحجارة النيزكية الساقطة من الجو حتى يصهر بها الكربون وهو في قلب الحديد صار ماساً
حيناً يبرد ويجمد

فلجأ الى الاتون الكهربائي الذي تبلغ حرارته ٢٧٧٠ درجة كما تقدم اي تزيد اكثر
من الف درجة على الحرارة اللازمة لصهر الحديد وهي ليست حاصلة من فعل كياوي كالحرارة
الناجمة من احتراق الوقود بل من تحويل القوة الكهربائية الى حرارة
ويؤلف الاتون الكهربائي من قطبين من الكربون قطر كل منهما بوصتان او ثلاث

بصلان في حفرة مصنوعة في قطعة من الطباشير فوق بوثة من الكربون ويغطي ذلك بطبقة من الطباشير حتى تنحصر الحرارة كلها داخل الحفرة . والطباشير غير موصل للحرارة فيستطيع الانسان ان يضع يده عليه من الظاهر بل يضع عليه قطعة من الثلج فلا تذوب الا بعد مدة طويلة مع ان نار الجحيم نتاج في باطنه . ويخرج من شقوق هذا الاتون السنة من الذهب تهر العيون بنورها الساطع فلا يستطيع العمال ان ينظروا اليها ما لم يلبسوا عوينات من زجاج اسود لشدة سطعائها . ومتى بلغت الحرارة الدرجة ٢٧٧٠ اذابت كل شيء تقريباً حتى الطباشير نفسه يصهر من الداخل ولكنه لا يصهر من الخارج لانه غير موصل للحرارة كما تقدم واذا وضعت في البوثة قليلاً من الرمل صهر حالاً واستحال بخاراً . وقوة المجرى الكهربائي الذي يستحيل الى حرارة تساوي قوة ١٥٠ حصاناً ولذلك فالاتون الكهربائي كثيرة النفقة لانقل نفقته عن عشرة جنيهات في الساعة وعن مئة جنيه في اليوم

لما استتب للمسيو مواسان استخدام الاتون الكهربائي وحاول تقليد الطبيعة في عمل الماس وجد ان الحديد يصهر بسهولة عند حرارة هذا الاتون ويذيب كثيراً من الكربون . وكان عليه ان يبرد الحديد بفتة حتى يجمد سطحه ويشد الضغط على باطنه ليتبلور ويحاول التمدد فلا يجد اليه سبيلاً . فجعل يذيب الحديد اولاً في الاتون ثم يمزج فيه قطعاً صغيرة من الكربون ويغطي الاتون حتى اذا حسب ان الكربون ذاب في قلب الحديد الذائب فتح الاتون واخرج البوثة منه بملقط طويل وزجها في سطل من الماء البارد فيتطاير الشر منها في كل ناحية بارز شديد . ثم وجد انه تكون طبقة من بخار الماء حول البوثة تقيها من برودة الماء فجعل يبردها في الرصاص المصهور لان الفرق بين حرارتها وحرارة الرصاص المصهور عظيم جداً فالرصاص المصهور حرارته ٣٢٦ درجة والبوثة حرارتها ٢٧٧٠ درجة

وحينما تبرد البوثة يوضع الحديد الذي فيها في حوامض تذيبه فتبقى منه قطع الكربون المتبلور ماساً اسود وابيض ويفرق بين الماس الاسود والابيض بوضعهما في سائل يغرق فيه الماس الابيض ولا يغرق الماس الاسود . والابيض بالورات شفافة كالماص الطبيعي تماماً لكن حجارتها التي صنعت حتى الآن صغيرة جداً . ولو صنع مواسان او غيره حجارة كبيرة تباع كما تباع الماس الطبيعي اترى كان يفشي سر عمله ويخبر ان حجارتها صناعية لا طبيعية او لا يرجح ان شركات مناجم الماس التي تربح خمسة ملايين جنيه كل سنة من مناجمها تبادر وتشتري منه حق اكتشافه وتكتم امره لكي لا يرخس ماسها ولمدة وجيزة هذا وفوائد الاتون الكهربائي كثيرة جداً مثل كل ما بني على الكهربائية او نتج عنها

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيوكل ما هم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النساء وانتخاب النواب في انكلترا

كتبت لادي مود سلبورن قرينة ارل سلبورن الذي عين حاكماً لجنوب افريقية مكان اللورد ملنر وابنة مركز سلسبري المتوفي مقالة في مجلة القرن التاسع عشر عن منح النساء حق الانتخاب في انكلترا اسوة بالرجال فقالت ما يأتي

ان النساء اللواتي يدفعن ضرائب هن غالباً من صاحبات الاملاك ومن المتقدمات في السن . وكثرة علاقتهن بالاشغال والاعمال صيرتهن معروفات في البلاد وصاحبات كلمة مسموعة وهن لو كن رجالاً لالن حق الانتخاب بلا جدال

والذين يعترضون على منح النساء حق الانتخاب فثتان . فئة تقول ان النساء لا يصلحن للانتخاب لان منهن هذا الحق يعدهن عن صفات النساء وانهن لا يستطعن اتباع حكم العقل في ذلك بل يستسلمن لهوى النفس . وفئة تقول ان منهن هذا الحق لا يضر بل ربما افاد واكنه يكون نوطئة لامر اعظم شأناً وهو منح هذا الحق للمتزوجات ايضاً وهذا الامر لا يستحب ولا يرغب فيه

وعندي ان اعتراضات الفئة الاولى هي الاعتراضات الجديدة بالرد . اما اعتراض الفئة الثانية فجوابي عليه موجز بسيط وهو ان منح المرأة المتزوجة حق الانتخاب بمنزلة تقوية اقتراع زوجها اذ ٩٥ في المئة من المتزوجات يقترعن مثل ازواجهن وعليه ارى ان منهن حق الانتخاب ليس لازماً لهذا السبب

ولننتقل للرد على الفئة الاولى وهي اما رجل يغار على الدستور ويخشى من ادخال مبداء جديد اليه . او رجل عزيز النفس كريم الطبع يحمله اكرامه لجنسنا ان يخاف علينا من التعرض لعدوى السياسة والتلوث بادرانها . او رجل كثير اختلاطه باهل الطبقة الدينية منا فبات وهو لا يخشى المجاهرة باحتقار النساء كلهن . وهؤلاء الرجال مجمعون على الخوف من ان يكون منح النساء لحق الانتخاب طامة كبيرة على الامة

فلننظر الآن في ما اذا كان ثمة دليل على ان كوننا نساء يمنعنا من ابداء اراء رشيدة صائبة في امور السياسة وانتخاب افضل الرجال لاجراخ تلك الاراء من القوة الى الفعل .
 لست انكر ان الرجال يستطيعون فعل امور كثيرة لا يستطيع النساء فعلها فانهم لا يستطيعون التبرع في الموسيقى بل لم نعلم منهم امرأة نبغت فيها الى الان واريد بذلك انه لم نعلم امرأة ابتكرت نغمة او لحناً من الحان الموسيقى . وقليل منهم نبغن في فنون النقش والتصوير والنظم واللواقي نبغن لم يبلغن المرتبة الاولى مع ان الفرص سنحت لهن لدرس تلك الفنون وممارستها ولكن المقدرة السياسية او التضلع من علم السياسية مهما شئت سميه أكثر شيوعاً بين النساء منه بين الرجال كما يتضح من المقابلة ومراجعة التاريخ . فان النساء اللواتي تولين زمام الحكومات فكن ملكات ووصيات قليلات وهن لم يفتزن لمقدرة خصوصية فيهن بل لاسباب اخرى مثل انقطاع الذكور من العائلة المالكة او غياب ازواجهن او موتهم ولكن ازمته حكمن كانت موسومة بالنجاح والارتقاء في كل عصر وامة . وامم كثيرة — والامة الانكليزية في مقدمتها — خطت اوسع الخطى في مضمار التقدم والارتقاء مدة حكم النساء .
 فهل راي الناس ان الملكات كن شديداً الانفعال والتأثر في امور الملك الى ما فاق الحد . وهل ضججن خير شعوبهن على مذبح عواطفهن النفسية . وهل كانت تنقصهن الجرأة والشجاعة الادبية في الدفاع عن شرف البلاد حين الحاجة . كلا ثم كلا .
 وعليه يرجح انه كما كانت الواحدة منا فكذلك تكون الجماعة التي اخذت الواحدة منها

تهذيب النساء

معرفة النفس باب الصلاح والاصلاح وعليه قال احد الفلاسفة "ايها الانسان اعرف نفسك" فان الذي يرى نفسه كما هو يسهل عليه اصلاح عيوبه والذي يرى نفسه فوق ما هو مخفى عليه عيوبه ولكنها لا تخفى على غيره .

لا نكاد نتصفح مجلة من مجلات الغربيين الشهيرة او نقرأ كتاباً من كتبهم الاجتماعية الا ونرى فيها بحثاً في المواضيع العمرانية التي هي اساس التمدن الغربي كحرية المرأة ومقامها في الهيئة الاجتماعية وما اشبهه . والغريب في ما يكتبونه عن المرأة عندهم انهم يصفون لك حالها باوصاف لا تكاد تميزها عن المرأة الحمجية فيغضون عن حسناتها ويكبرون سيئاتها فسد الاصلاح لا غير

كتبت كاتبة انكليزية مقالة في مجلة القرن التاسع عشر تحت عنوان "تدبير المنزل —

والامة "قالت فيها ما خلاصته

اذا جلنا في قرى البلاد نرى فيها كثيرين من الاولاد ذوي الالوه الممتعة والاجسام الضئيلة والصدور الضيقة والافواه التي لا اسنان فيها مثلما نراه في اكثر شوارع لندن ازدحاما . وعليه فلا يمكن ان يكون الازدحام سبب ذلك بل السبب الحقيقي الوحيد ان النساء لا يعلمن شيئا من الواجبات التي فرضتها الطبيعة عليهن . فان البنات كثيرا ما يتزوجن باكرا وهن لا يعلمن ما اذا كن صالحات لحمل الاولاد ولا كيف يربينهم بعد ولادتهم . وتراهن بفخون بما تعلمن في المدارس من العلوم البسيطة فاذا سألتهن اين بطرسبرج او ما هي طريقة استخراج الفائدة المركبة فرجا أجبن بالصواب ولكن تمرينهن على الاشغال المنزلية البسيطة عن ايدي امهاتهن اولاً وايدي مرييات يخترن لذلك ثانياً من الامور التي أهملت الآن بعد ما كان المعول عليها في سالف الزمان . وغاية ما تسعى اليه البنت اذا لم تتزوج ان تدخل في خدمة التلغراف او تعلم الكتابة على الآلة الكتابية لا ان تكون خادمة في المنازل . واما التي تتزوج فان في رأسها قدراً كافياً من المعرفة يجعلها تحقر الاشغال البنيية وتكب على قراءة الجرائد والمجلات الرخيصة الثمن التي تصدر بالالوف لمطالعة البنات اللواتي من طبقتها وتشتري معظم طعام عائلتها ولباسها من الخارج فلا تتعب بطبخ ولا خياطة وهما الاول فطم طفلها باسرع ما يمكن فخلصاً من تعب الرضاع

وليس ثمة سوى وسيلة واحدة لاصلاح بنية الاولاد وهي تعليم النساء الواجبات المنزلية التي كانت نخر امهاتهن وجداتهن وسبب سعادتهن مثل عمل الخبز والطبخ والخياطة وزربية الاولاد والعناية بانفسهن قبل ولادة اولادهن . فان المرأة الانكليزية الآن اكثر نساء الارض جهلاً لتدبير منزلها وقد كانت افضلهن في ذلك منذ مئتي عام . فكم من بنت لا تعرف كيف تخطط زراً على قيص ولا تعرف كيف تمشط شعرها وتعقصة . وقد عرفت امرأة متزوجة كانت اذا غابت خادمتها الخصوصية عن المنزل عدة ايام لا تجسر ان تلمس شعرها خشية ان لا تستطيع مشطه وعقصة ثانية

ورب معترضة تقول لماذا أعقص شعري وعندي من تعقصة لي ولماذا اذهب الى المطبخ وارانب ما يجري فيه اذا كان عندي من هو اخبرمني بذلك . فالجواب انه اذا كانت المرأة تستطيع اقتناء الخدم وكانت الاعمال التي يعملونها على اتم المرام كما هي الحال عليه في بعض المنازل فلها بعض العذر في اهمال امور بيتها اتكالا على همة خدمها وامانتهم . ولكن من رأيي ان تطلع على كل ما يجري في منزلها وتراقب كل حركة وسكنة بنفسها ان لم يكن لقصد غير القدوة فكني

يُفت فيه ويجب ان يكون الخبز بائناً لا جديداً . وفي الثاني فنجان كبير من اللبن وقليل من الخبز والزبدة . وفي الثالث فنجان من المرق وقليل من الخبز وملعقة كبيرة من الرز المطبوخ باللبن والسكر . وفي الرابع كما في الاول . وفي الخامس ملعقة كبيرة من طعام ملن وفنجان كبير من اللبن

ويمكن ابدال الطعام هكذا في الوقت الاول صفار بيضة مسلوقة قليلاً وقليل من الخبز وفنجان من اللبن . وفي الثاني فنجان من اللبن وقليل من الخبز والزبدة . وفي الثالث قليل من البطاطس المسلوقة المدقوقة واربعة ملاعق من خلاصة اللحم وقليل من اللبن الرائب ومن الشهر الثامن عشر الى نهاية السنتين يطعم اربع مرات في النهار . في الفطور فنجان كبير من اللبن وصفار بيضة مسلوقة قليلاً وقليل من الخبز والزبدة وقيليل الظهر فنجان من اللبن وقليل من البسكويت والظهر او بعده قليلاً فنجان كبير من مرق اللحم او الشوربا وقليل من الخبز وصحفة من الرز المطبوخ باللبن والسكر

وعند العشاء فنجان كبير من اللبن وقليل من الخبز والزبدة

والاعتماد في طعام الاطفال على الخبز واللبن والرز المطبوخ باللبن والسكر مع قليل من مرق اللحم ويحسن اطعامهم شوربا الرز او شوربا العدس ولا بأس بالعدس المقشور اذا كان مطبوخاً مع الرز

والماء لازم للاطفال دائماً فاسقهم قدر ما يشربون منه بشرط ان يكون نقياً ويتفق ان معد الاطفال لا تهضم اللبن وهذا نادر فيجب ان يبدل حينئذ بما يقوم مقامه من الماء كل المغذية كالشوربا ونحوها ولا بأس باطعام الصغار قليلاً من اللوز والفسق ونحوها مما فيه من المواد الزيتية ولكن لا يجوز الاكثار من ذلك

حب الصبا

يخرج من مسام الوجه مادة دهنية ولا سيما في سن البلوغ وبعده وقد يعاق خروجها لضعف الجلد فتتصلب ويسود ظاهرها المعرض للهواء فتظهر في الوجه والانف والجبهة نقطاً سوداً فاذا عصرت خرج منها مادة بيضاء دقيقة كالودود . وقد يلتهب مكانها قبل خروجها ولا بد من الاعتناء بالصحة والحضم اولاً . ويوضع على حب الصبا خرقة ناعمة مبلولة باللبن الغالي ثم يغسل الوجه بالماء البارد . وتنزع المادة الدهنية بالعصر ويعاقب على مكانها بالماء الحار والبارد دواليك

حتى يتقلص الثقب الباقي هناك ويزول . ثم توضع عليه ليج من المزيج التالي وهو اوقية من مذوب كربونات البوتاسا واوقيتان من ماء كولونيا واربع اواقي من الكنيك ولا بد من الاعتناء بالامعاء حتى لا يكون فيها قبض

ويحسن غسل البثور بالماء المضاف اليه نقط قليلة من الحامض الكربوليك

الشمس

الشمس ضرورية للصحة ولكن التعرض لها طويلاً قد ينتج الشمس في الوجه . ومن امهل الوسائل لازالة الشمس الغسل بعصير الليمون الحامض . ويجب ان يبقى العصير على الوجه بضع دقائق ثم يغسل بالماء النقي البارد وينشف . ولا بد من غسل الوجه جيداً بالماء والصابون قبل وضع عصير الليمون الحامض عليه

باب الثمار

تلقيح الثمار

ذكرنا في عدد يونيو الماضي تحت عنوان تلقيح الثمار ان رجلاً انكليزياً يعمل في زراعة الاثمار وتربيتها وتلقيحها بعضها من بعض حتى خرجت فائقة في منظرها وطعمها واشتهرت في جميع الاقطار . وذكرنا ايضاً ان زارعاً اميركياً مشهوراً اسمه برينك يحذو حذوه وأنه لقيح كثيراً من الاثمار بعضها ببعض فخرجت من ذلك انواع تفضل الاولى منظرًا وطعمًا وظفر باستخراج بقوق بلا نواة وخرج من عنده نوع من الصبر بلا شوك يعيش بلا ماء في كل اقليم وتكن من جعل الخوخ والبرقوق والنكتارين تحمل البرد ولو على درجة الجليد الى غير ذلك مما ذكرناه في مكانه

وقد خطر للاستاذ ده قريس صاحب مذهب التحول الفجائي الذي بسطناه في عدد يوليو الماضي ان يزور برينك في مدينة سانتاروزا بكليفورنيا ويرى بالخبر ما سمعه عنه بالخبر فقصده في جماعة من العلماء والاصدقاء منهم الاستاذ سقنت ارهينيوس الذي وضع اساس الكيمياء الطبيعية هو وهوف والاستاذ جاك لوب الفسيولوجي والاستاذان وكسون واوسترهوت

من كلية كليفورنيا وبعد ان شاهد ما شاهده كتب مقالة في هذا الموضوع تلخصها من مجلة العلم العام الاميركية

ذكر اولاً حسن مقابلة برينك له ولرفقائه وانه رجل عذب يعيش مع امه وشقيقته في منزل بسيط وانه لا يقصد من اهتمامه بالزراعة شهرة او جمع ثروة بل زيادة اسباب الرفاه للناس بما يولده كل يوم من الاثمار الجديدة اللذيذة . ثم قال :

اخذنا برينك ذات يوم الى بستانه وأوقفنا امام شجرة مثقلة باثمار البرقوق وكانت الاثمار زرقاء اللون تجذب الابصار اليها بجعلها ولكنها صغيرة . فقطف بعضها وطلب منا ان نعصها باسناننا ففعلنا ومع اننا كنا نعلم ان لا نوى فيها لم نتمالك من اظهار العجب والدهشة لما فلقنا الاثمار ووجدنا داخلها بزوراً مثل اللوز شكلاً وطعماً ولكن بلا نوى ووجدنا مكان النوى طبقة بقوام الهلام فيها بعض آثار النوى . فقال لنا انه لا يقنع بذلك بل لابد ان يوالي التجارب حتى يزول كل اثر للنوى وان عنده اشجاراً اخرى تحمل اثماراً لا اثر فيها للنوى البتة

وبينما نحن كذلك اخبرنا الاستاذ اوسترهوت بما جرى للاستاذ بايلي استاذ الزراعة في كلية كورنيل مع برينك وهذه الشجرة فقال ان برينك جاء بالاستاذ بايلي واوقفه تحتها والاستاذ يجهل ان اثمارها بلا نوى فاراد ان يمزج معه وكان بايلي قد قال انه يستحيل وجود برقوق بلا نوى فقطف برينك له ثمرة وطلب منه ان يعصها باسنانه فلم يفعل بل تناول سكينه من جيبه وجعل يقطع بها اللب لاظهار النواة اعتقاداً منه انها محاطة بقشرة صلبة فلما لم يجد اثرها لما دهش اعظم دهشة

وكنتم قد قرأت في بعض الجداول التي يصدرها برينك محنوية اسماء الاثمار التي عنده واثمانها ذكر برقوق بلا نوى فلم أكد اصدق وقلت في نفسي كيف يمكن احداث تغيير عظيم مثل هذا في الاثمار فان الانواع الجديدة التي تنتج عن التلقيح لا تتضمن صفات جديدة بل هي مجموع جديد لصفات موجودة في الانواع الملتحمة منها . وهذا مبدأ جوهرى في التلقيح . على انه وان كان فقد النواة خسارة لا ربحاً الا انه خسارة خارجة عن دائرة ايجاد الانواع المجنسة وعليه لم تكن دهشتي اقل من دهشة الاستاذ بايلي عند قراءة ذلك ففزمت منذ زمن طويل ان اسأل برينك ما هو السر الذي تمكن به من احداث ذلك التغيير الجوهرى في النبات وهل كان ذلك قصداً او اتفاقاً . فما صدقت ان التيقنا حتى سألته هذا السؤال معتقداً ان النتيجة العلمية من زيارتنا لتوقف على جوابه . فأجابني جواباً بسيطاً لم اكن انتظره وهو " انه كان في فرنسا منذ نحو قرنين نوع من البرقوق بلا نوى ولا يزال منه شجر الى الآن

فاشتريت ثمرة وزرعت بزررة ولتحت منه البرقوق الذي عندي . وعليه لم يشد برينك عن القاعدة المذكورة آنفاً اي انه لم يحدث نوعاً من الاثمار يتضمن صفات جديدة بل صفات قديمة تخاب ظني وظن الاستاذ لوب لاننا كنا نؤمل ان نتعلم شيئاً كثيراً عن الصفات الجديدة واصلها وهو الاساس الذي بنى عليه دروسنا ومباحثنا

وليست هذه اول مرة خاب فيها ظني من هذا القبيل . فاني كنت منذ عشرين سنة ابحت في هذا الموضوع فاكتشفت القاعدة المذكورة آنفاً وهي ان التلقيح لا يولد صفات جديدة بل يجمع بين صفات قديمة . وجاءت تجاربي كلها مطابقة لهذه القاعدة ولكن ظهر بعد ذلك ماكدت اعتقد انه شذوذ عنها وهو اعلان لموان في نسي وهو اشهر من لقح الاثمار ورباه في فرنسا انه استخرج زنبقاً مضاعفاً بالتلقيح بين انواع الزنبق المفرد . فزرته في نسي وسألته كيف توصل الى ذلك فأجابني " هذا امر بسيط جداً فاني رأيت وانا صغير نوعاً من الزنبق المضاعف في حديقة لاحد اقاربي فاشتريته الآن ولتحت به انواع الزنبق المفرد التي عندي فخرجت مضاعفة كما ترى "

ولتعد الى برينك فاقول انه ارانا كبوشاً من كبوش العليق كبيرة الحجم لذينة الطعم نسألته كيف استخرجها فقال انه استخرجها من كبوش برية بيضاء تنبت في كليفورنيا

ومن غرائب اعماله عنايته الشديدة بالصبر الذي لاشوك له وهو ينبت في صحاري كليفورنيا ويعرف بالتين الهندي والبقر ترعى ثمرة بشراهة لكثرة مائه وقلة شوكه وهو كثير الغذاء . وقد يدم المواشي الجوع فتأكل النبات كله ولكن جذعه كثير الشوك . فاذا سلق لان الشوك الذي عليه واصبح طعاماً مغذياً ولكن سلقه يحتاج الى نفقة فاذا امكن استخراج صبر بلا شوك بطريق من الطرق زرعت به الصحارى فحولها مراعي نضرة تسام فيها الانعام

فلبلوغ هذه الغاية جاء برينك بصبر بري من المكسيك وجنوب افريقية وبلاد اخرى وبصبر من النوع العادي . واتفق انه كان بين الانواع المختلفة التي جاء بها نوع بلا شوك على ورقه ونوع آخر بلا شوك على اغصانه فرأى ان يستخرج من هذين النوعين نوعاً ثالثاً يجمع صفاتهما فيكون بلا شوك على ورقه واغصانه . وهو الان يجرب التجارب الكثيرة ولا يمضي زمان طويل حتى يفوز بأربه

وطريقة انتقائه للثمار هي انه يحول بين الاشجار بعد حملها فيعلم كل شجرة تحسن في عاينها فيستبقها ويقطع كل شجرة لا تصلح لسبب من الاسباب فلا يبقى بعد جولته هذه سوى النصف منها ثم يعيد نظره في النصف الآخر وينتقي منه الاصلح . كان مرة يعرض

٦٠ الف فسيلة من فسائل الكبوش لينتقي منها صنفاً جديداً وكانت مثقلة بالاثمار فانتقى البعض القليل واقطلع الباقي واحرقه
وربى مرة ٦٥ الف فسيلة فانتقى منها نحو مئة ثم جمع الباقي وهو مثقل بالاثمار فاحرقه
وهو يفعل ذلك ١٥ مرة كل سنة

وما يفعله بالاثمار بفعله بالازهار ايضاً من حيث التطعيم والتلقيح والانتقاء فخرج
الازهار بدبعة في الوانها واشكالها شذية في روائحها. جمع مرة ١٥ الف وردة قضى في تربيتها
السنين الطوال فانتقى ثلاثة منها واتلف البقية غير آسف. وانتقى ٥٠ بصلة من الزنبق من
نصف مليون فزرع الاولى واباد الثانية وهذا ما لا بد منه في تحسين نتاج الاثمار والازهار
ولا يكفي بتطعيم صنف من آخر بل يطعم عدة انواع بعضها من بعض حتى تجمع صفات
الانواع المختلفة في النوع الذي يراد استخراجها منها. وقد طعم البرقوق بالشمس فخرج من ذلك
ثمر جديد سماه "بلامكوت" نسبة الى البرقوق والشمس معاً اما طعمه فلذيذ جداً واما
منظره فاشبه بالشمس في نعومة ملمسه وبالبرقوق في لونه ثم استخراج منه اصنافاً مختلفة في لونها
فمنها اصفر ومنها احمر ومنها وردي ومنها ابيض وطعمها مختلف ايضاً

ومما ينظر اليه في تربية الاثمار وتحسين نوعها ان تكون صلبة بحيث يسهل ارسالها الى
البلدان البعيدة من غير ان تفسد. وان تزرع في تربة لم تكن تصلح لها سابقاً. وان تكون
الاشجار كثيرة الحمل تقوى على احتمال الصقيع الى حد محدود ففاز بعض الفوز حتى صارت
اثمار كليفورنيا مشهورة في اوربا ترسل اليها ولا يصيبها تلف مع ترامي الشقة وكثرة مشقة
السفر بينهما برّاً وبحراً

المن والندوة

ظهر المن في بعض الجهات على شجر القطن وهو مقدمة لظهور الندوة العسيلية التي تلتف
القطن تماماً. وقد اشار البعض بقتل المن بمذوب الصابون على هذه الكيفية
قطع رطلاً من الصابون حتى ينعم جيداً واذبه في اربعة اكواز من الماء العالي واضف
الى المذوب اربعة عشر كوزاً من نقاية الصابون (وهي سائل يبقى في الاناء التي يصنع
الصابون فيه ولا ثمن له او ثمنه بخس جداً) واغل المزيج نصف ساعة واتركه حتى يبرد فتختر
ويصير كاللبن ضعه في القناني الى حين الاستعمال وضع رطلاً من هذا المزيج في رشاشة
واضف اليه خمسة وعشرين رطلاً من الماء وحركه في الرشاشة جيداً ورش به ورق القطن

من اعلاه ومن اسفله فيموت المن عليه ويسلم القطن ويستفيد من محلول الصابون لانه كالسباح له ويسلم من الندوة وقد جربناه فوجدنا فائدته قليلة

الاراضي الزراعية في الفيوم

اشرنا في باب التقارير الى كتاب وضعه الجيولوجي المستر بدنل عن جيولوجية الفيوم وطبوغرافيتها وقد رأينا في هذا الكتاب فصلاً يحسن نشرها في باب الزراعة لما فيها من الفوائد الزراعية ومن ذلك فصل عن الاراضي في الفيوم قال فيه ان مساحة الاراضي الزراعية في مديرية الفيوم ١٨٠٠ كيلومتر مربع (نحو ٤٣٠ الف فدان) وهي طفالية مثل اراضي وادي النيل مرتفعة في الجهات الشرقية والمتوسطة ثم تتحدروا رويداً رويداً ولا سيما في الجهة الشمالية حيث الانحدار نحو بحيرة قارون . وتروى كلها من بحر يوسف الذي يمر في مرمى من الارض واصل بين وادي النيل واطيان الفيوم فانه يفارق وادي النيل من عند اللاهون ويجري في طريق متعرج في الصحراء مسافة ٥ كيلومترات ويروي ارضاً ضيقة على جانبيه تتسع عند هواره وتصل باراضي الفيوم ثم ينقسم الى فروع كثيرة جداً تروى اطيان المديرية كلها . وهذه الاطيان تصرف كلها في بركة قارون ما عدا الفرق الجنوبي الفيوم فانه يروى من فرع يأتيه من بحر يوسف حال دخوله المديرية ولكنه لا يصرف في البحيرة لبعده عنها وارتفاع الارض بينه وبينها بل يبقى ماؤه فيه

وحول هذه الاطيان الزراعية اراض طينية رملية الى جهة الشمال والشمال الغربي والغرب تسمى بالاراضي البحرية وهي من الاراضي القديمة التي كانت حول بحيرة قارون مزوجة بما يحملها بحر يوسف اليها من طمي النيل وبما يصلها من الرمال التي تسفيها الرياح اليها مما حولها

لما انحسر ماء البحيرة في عهد البطالسة انكشف كثير من هذه الاراضي البحرية وزرع بعضها ثم اتمت زراعتها وانحصرت الزراعة بعد ذلك في الاراضي النيلية التي يغطيها طمي النيل . ثم لما اصح الري حديثاً وزاد الماء في بحر يوسف اُحييت بعض الاراضي البحرية ولا سيما شمالي الطامية وقرب قصر قارون

اما بركة قارون فطولها ٤٠ كيلومتراً ومعظم عرضها عشرة كيلومترات ومساحة سطحها الآن ٢٢٥ كيلومتراً مربعاً وهي قليلة العمق لم يجد السرحميري برّون فيها ما هو اعمق من خمسة امتار ولكن الصيادين يقولون ان فيها اماكن اعمق من ذلك وهي الى الجنوب الغربي

منها وقد كانت في قديم الزمان تغطي أكثر اراضي الفيوم ثم جعلت خزاناً للماء في عهد الملك امنمحات الاول فتنصب فيها زيادة مياه النيل وقت الفيضان ثم يجري الماء منها وقت التخزين لمدة النيل فتفعل فعل خزان اصوان الآن . ثم اهملت في عهد الفرس والبطالسة فصارت تصفر رويداً رويداً حتى بلغت مساحتها الحاضرة وكانت لا تزال آخذة في الهبوط والصفر فقد هبطت في العشر السنوات الماضية نحو نصف متر فانحسرت عن اراض كثيرة احييت للزراعة ولكن لا بد من ان يزيد ماء الصرف الذي يصب فيها باتساع مساحة الاراضي الزراعية فيبطل انخفاضها ثم تأخذ في الارتفاع وقد ارتفعت قليلاً سنة ١٩٠٤ واذا ارتفعت نصف متر فقط غمرت ارضاً واسعة لان الاراضي على شاطئها مستوية قليلة الارتفاع في الغالب^(١)

وقد استنتج الاستاذ شوينغفورت ان لها مصرفاً تحت الارض بنصرف به ماؤها والآن زادت ملوحتها عما هي عليه الآن

الحشرات والزراعة

تزداد الاخبار تباعاً عما اصاب القطن الاميركي من الضرر بسبب الحشرات التي تسطو عليه ويقال انه ما من بلاد تصاب بالحشرات أكثر من الولايات المتحدة الاميركية او ما من بلاد يظهر فيها ضرر الحشرات ويقدّر بالضبط كما يظهر في تلك البلاد ويقدّر فيها فان قيمة الحاصلات الزراعية فيها سنوياً الف مليون جنيه والحشرات تلتف منها عشرة في المئة كل سنة على الاقل وتلتف في بعض السنين أكثر من ذلك كثيراً فيكون ثمن ما تلتفه كل سنة مئة مليون جنيه على الاقل وهذا التلف لا يشمل ما يصيب الحاصلات بعد جمعها وتخزينها كالسوس الذي يضرب الحبوب على انواعها والذي ينخر الخشب وقد لا يقل الضرر منهما عن اربعين مليون جنيه فيكون ضرر الحشرات للزراعة الاميركية مئة واربعين مليون جنيه كل سنة على الاقل ولذلك لا عجب اذا بذلت الحكومة الاميركية اقصى جهدها وانفقت الاموال الطائلة واستخدمت كبار العلماء لاجل محاربة الحشرات وتقليل ضررها على قدر الامكان . وابن آدم في جهاد دائم واذا خلت الحياة من الجهاد والظفر خلت من البهجة واللذة

(١) رأينا البرشالي سنهور كثير الارتفاع عن البصرة حتى لو ارتفعت متراً او مترين لا تغمر الأجزاء الصغيرة منه

بالتقريظ والإيقاع

ديوان الرافعي

نشر الشاعر المطبوع مصطفى افندي صادق الرافعي الجزء الثاني من ديوانه وهو الذي قال فيه نالفة شعراء العصر الشيخ عبد المحسن الكاظمي نزيل مصر

الشعر فَوْضَ امره ونحاك في تفويضه
وعليك اسبغ برده لتجبر ذبل رحيضه
فقبضت من مبسوطه وبسطت من مقبوضه
اشرفت فوق سماءه وسواك دون حضيضه
ديوان شعرك حبر الشعراء في ثقبه
ماذا يقول مقرظوه وانت رب قريضه

وقد اجمل الكاظمي في الوصف فابدى لكن الناس الفوا مبالغة الشعراء وغلوهم فلا يبنون عليها حكماً ولو كان الكاظمي ضئيلاً بالمدح على غير اهله ولذلك رأينا ان ننشر ابياتاً مقتطفة من هذا الديوان للدلالة على طريقة الناظم وامتلاكه ناصية هذه الصناعة وتفوقه في ابتكار المعاني او ابرازها في صورة حسنة ومن ذلك قوله في الفقر والغنى

واطراق الزمان يغرُّ قوماً وما اطرافه الا افتكارُ
يظن المرء ان قد فرَّ منه ولكن كان منه له الفرارُ
اذا وسَّعت في قفص لطير فكيف يغرُّ والقفص المطارُ
وقوله في تطرُّف العلماء

ارى للعقل حداً في التسامي كرمى الباصرات الى حدود
وكل تطرُّف العلماء جهل وبعض الجهل بالعلماء يودي
وسيان البصير وكلُّ اعمى اذا نظرا الى شيء بعيد
وقوله في المرأة المصرية

تالله لو كان من علم ونبوة شيء يمازجه ذا الصبر والجَلْدُ

إذا لما سخرت من بنت جمعتها
من يومها السبت أو من يومها الأحد
يا قوم لو نام ليث الغاب نومكم
لاستنكف الفار أن قالوا له أسد
وقوله

دعي عنك الطلاء فليس حسناً
وأي حقيقة كانت مجازاً
ومن ذا غره التحسين أفي
رأيت الشمس لا تجناج غازاً
وقوله

وقتل من كان في الغاب حياً
اعين الآسار
أما الناس ما يخلد الناس
س وان كان امرهم للنفا
شد ما يؤخذ الظلوم إذا ما
سار في الناس سيرة استبداد
أما انفس الانام سيوف
ان تحرك سالت من الاغادر
وقد طبع الديوان مشروحاً بقلم حضرة الاديب محمد افندي كامل الرافعي وثمن النسخة
منه خمسة غروش فقط وهو يطلب من المكتبة الازهرية بمصر ومن سائر المكاتب وحذا لو
اقل الناظم من الغزل لان الشعراء لم يفادروا منه عامراً ولا متردماً وأكثر من صوغ المعاني
الجديدة في سياق الوصف والرواية والعرض والتخفيض

آفات المدنية الحاضرة

في بيروت جمعية ادبية تسمى جمعية شمس البر يترن اعضاؤها في الانشاء والخطابة ولا يلبى
فيها الا كل ما يهذب الاخلاق ويثقف العقول وقد عينت منذ مدة جائزة لمن يؤلف افضل
كتاب في آفات المدنية الحاضرة بزيج النقاب عنها ويبين مضارها وطرق النجاة منها فنال هذه
الجائزة حضرة الكاتب الفيور جرجي افندي نقولا باز على كتاب الفة في هذا الموضوع واهداه
الى المقتطف لانه عامل على اذاعة المعارف في الشرق ولاننا من مؤسسي جمعية شمس البر
والكتاب يتناول كل الآفات التي لها علاقة بالمدنية الحاضرة او التي زادت بزيادة المدنية
جرباً على ما قلناه غير مرة وهو ان العمران لم يتلف بزور الشر مع كل ما استعمل من الوسائل
لاتلافها بل زاد العقول استعداداً لنموها وقد عدد المؤلف ثلاثين آفة مثل المقامرة
والسكر والعزوبة والزواج والعقم وقلة الالة العائلية والانتحار والتدخين والبورصة
والاحنكار والاعنصاب والافلاس والفش والجمالة والمخاصرة والحسر والسل
والزهري وشرح كل آفة منها وبين مضارها مستشهداً بأقوال مشاهير الكتاب والمواضع

التي تحمل شرحاً مسهباً تضيق عنه صفحات هذا الكتاب وعد بشرحها في كتاب يفرد لها ولا شبهة ان للمدنية الحاضرة شوائب كثيرة وان تبين مضارها بالكتابة والخطابة والتعليم من افضل الوسائل لمقاومتها ولذلك احسنت جمعية شمس البر في اجازتها هذا الكتاب وطبعه على نفقتها فسي ان يكون من المرغبات في اقتباس الفضائل واجتناب الرذائل وأنا نسدي مؤلفه الاديب جزيل الشكر على الخدمة الجليلة التي خدم بها ابناؤنا ووطنه

جيولوجية الفيوم

The Topography and Geology of the Fayum Province ;
by H. I. L. Beadnell. F.G.S., F.R.G.S.

لم يكن يحظر بالبال ان علماء الجيولوجيا يجدون في مديرية الفيوم والصحراء المحيطة بها ابداع المكتشفات الجيولوجية كما وجد علماء الآثار في وادي النيل ابداع المكتشفات الاثرية لكن السنوات الاخيرة ارتنا الغرائب بهمة رجال المساحة الجيولوجية كما يظهر من مراجعة ما كتبناه عن مكتشفاتهم في سني المقتطف الماضية . وقد نشر المستر بدنل الآن كتاباً مسهباً عن جغرافية الفيوم وطبوغرافيتها ضمنه كثيراً من الحقائق التي اكتشفها هو وغيره من رجال المساحة ورجال الري وسنشر بعضها في باب الزراعة وبعضها في باب المقالات نعيماً لنوائدها لان الكتاب باللغة الانكليزية

وانا للأسف لان المستر بدنل ترك خدمة الحكومة المصرية ولكننا نرجو ان يجد في الواحات التي انتظم في خدمتها باباً اوسع للفائدة العلمية لانه لا يبعد ان يجد فيها عظام كثير من الحيوانات المنقرضة التي يجلي بها كثير من غوامض علم الجيولوجيا وعلم البليينولوجيا

معين المبتدئين

في صرف ونحو اللغة العربية

هو كتيب في صرف اللغة العربية ونحوها ألفه حضرة الاديب جرجس افندي الخوري المقدسي مدرس العربية في مدرستي الاميركان الداخلية بطرابلس الشام ليستعين به المبتدئ في درس قواعد اللغة . وهو يتضمن ٤٩ درساً مصدرة بامثلة وايضاحات تمكن الدارس من ادراك الاحكام المهمة في الصرف والنحو على اسلوب بسيط متحاشياً فيه التثقيل على اذهان الاحداث بذكر شيء يتعذر عليهم فهمه

الالزم

من لزوم ما لا يلزم

وهو ديوان انجبه حضرة الاديبين احمد افندي نسم وعبد الله افندي المغيرة من ديوان ابي العلاء المعري المسمى "لزوم ما لا يلزم" وعنيا بالانتخاب حتى جاء ديواناً فريداً جامعاً لحسنات ابي العلاء نابداً لكثير مما جاء منها مكرراً . وفي حسن الانتخاب دليل على حسن ذوق هذين الاديبين . وقد اهديا الكتاب الى سعادة حسين واصف باشا محافظ القنال سابقاً

مراشد الهدايا

الف هذا الكتاب حضرة الفاضل الدكتور احمد افندي الدرندي مفتش صحة الفيوم وأبان فيه واجبات الخلاقين والدايات لمنافع العائلات . وهو قسمان الاول اعمال الخلاق الصحي وتحته ابواب في الكشف عن المتوفى واسباب الوفاة والتبليغ عن الامراض المعدية مثل الحصبة والجدرى والدفتيريا والتيفوس والكوليرا والطاعون وما اشبه وغير ذلك من المباحث الكثيرة . والقسم الثاني في اعمال الدايات او القوابل . وهو مفيد لكل عائلة فنيح الجميع على اقتنائه

الفهيمات

وهو كتاب في علم الحساب من تأليف حضرة الاديب احمد افندي فهمي الباجوري مدرس الرياضية في مدرسة دولة البرنس عزيز باشا حسن بالزقازيق . وهو شامل لمقرر المدارس الابتدائية ويحتوي على اكثر من ٢٥٠ مسألة حسابية وتمريناً في الجمع والطرح والضرب والقسمة والكسور الاعتيادية والعشرية

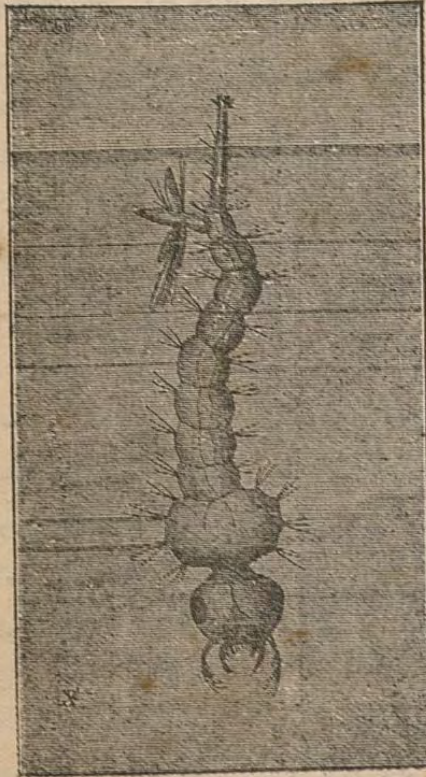
كتاب حاضر الحشبة ومستقبلها

وضع هذا الكتاب حضرة الكاتب الاديب رمزي افندي تادرس من محوري جريدة مصر وهو يبحث في نشوء المملكة الحبسية وجغرافيتها وسياستها وآداب اهلها وآثارهم ومعيشتهم وهيئتهم الاجتماعية وحكومتهم واستقلالهم وتاريخهم الحديث وعلاقتهم بالدول ومستقبلهم وقد زينه ببعض الصور ويجد القارئ فيه اخباراً كثيرة تفكه وتفيد وفوائد جملة لا يحدها في غيره فنشكر لحضرة المؤلف على هذه التحفة السنية

تَابِطُ الطَّبِيبِ كَيْسَانَ

فمنا ههنا الباب منذ أول انشاء المتنطف ووعدنا أن نجيب في مسائل المختبرين التي لا تخرج عن دائرة بحث المتنطف - ويشترط على السائل (١) أن يضي مسألة باسمه والقاب وعمل أقامتوا أمضا وإحصا (٢) (٣) ١٨١ لم ورد السائل الصريح باسمه عند ادراج سؤاله فليذكر لنا ويعين حروفا تخرج مكان اسمه (٣) إذا لم نخرج السؤال بعد شهرين من أرسا لو البنا فليذكره مسألة فان لم ندرجه بعد شهرا آخر نكون قد املناه لسبب كاف

وفيه بعض العوم وصبنا عليه نطقا قليلة من زيت البترول فماتت العوم بعد بضعة ساعات



وصبنا غيره في كأس أخرى وغطيناها بورقة ثقبنا فيها بعض الثقوب وتركناها ثلاثة أيام

(١) تولد البعوض ودواؤه مصر ١٠٠ رافعي ارجوان تقيدوناعن الدواء القاتل للناموس (البعوض) وعن سبب وجوده في بعض المنازل دون البعض ومن اي شيء يتولد

ج تبيض البعوضة في الماء الراكد نحو أربع مئة بيضة او أكثر او اقل ويضها بصير دودا صغيرا وهو العوم التي ترى احيانا في الماء الراكد كما ترون في هذه الصورة وفي صورة عومة من العوم مكبرة جدا. وهذه العوم تخلق بعوضا بعد ولادتها بأسبوع او اسبوعين . فلا يتولد البعوض في بيت ما لم يكن فيه او في ما يجاوره ماء راكد تبيض فيه بعوضة فاذا لم تدعوا في البيت ولا حوله ماء راكدا فالبعوض الذي فيه لا يطول عليه الزمن حتى يموت ولا يتولد فيه بعوض غيره بالامس رأينا عوما من هذه العوم في الماء الذي نغسل به فاستجنينا حالا أن الخادم ترك الماء اياما في الخزان المتصل بالحنفية فوق المغسلة . وصبنا قليلا من هذا الماء في كأس

وقد لا ينجون من عوادي الادواء ولو اتخذوا
نقفاً في الارض او سماً في السماء

(٢) لغة الاقزام

نيو اورليانس باميركا. الخواجه طانيوس
خليل ابو حيدر . هل لغة الاقزام الذين
جاء بهم الكولونل هريسن نوع من لغات
البشر او هي حركات واسارات يتفاهمون بها
ج هي لغة من اللغات يتكلمون بها
تكلماً مثل غيرهم من الناس وكان معهم
ترجمان منهم يعرف لغتهم واللغة السواحلية
المنتشرة في شرقي افريقية والكولونل هريسن
يعرف هذه اللغة فيكلمهم بواسطة الترجمان .
وكيف لا تكون لهم لغة يتكلمونها وهم على شيء
من الحضارة فقد نقلنا عن الرحالة ستانلي
انهم كرماء ذوو انفة وعزة نفس مرتبطون
بنظام سياسي واجتماعي يشف عن وحدة
اصلهم وتقاليدهم ولم ملكة جمعت بين
اللطف والذكاء ولم مهارة فائقة في عمل
الحراب وهم يسبكون الحديد والنحاس
ويصنعون الادوات والاسلحة منهما

(٤) عدد الاقزام

ومنه . كم عدد هؤلاء الاقزام بالقرب
ج لا يعلم كم عددهم ولكنهم قبائل
كثيرة ولا يبعد ان يكونوا مئات الالوف .
راجعوا ما كتبناه عنهم في صدر الجزء
الخامس من هذه الستة

فاستحالت العوم بعضاً بقي يطير في الكاس
فوق الماء اربعة ايام او خمسة ثم مات
ووقع في الماء . وترون من ذلك ان زيت
البترول يمت العوم التي يتولد البعوض منها
اذا كانت في بركة كبيرة يتعذر نزع مائها
ولكن اذا كانت نزع الماء ممكناً فهو اسهل
سبيل لمنع البعوض وقتله

وقد يهتم السكان بمنع الماء الراكد من
البيت وينسون ان الغسالة تضع الماء في اناء
في غرفة الغسل وتتركه من غسلة الى اخرى
فيتولد البعوض فيه او ان اصحاب البيت
يتركونه ويبقى خزان منجنيق الكنيف مملوءاً
ماء فيتولد البعوض فيه

(٣) ضرر البعوض بالطعام

ومنه . ما قولكم في طعام سقطت فيه
بعوضة هل يصير ضاراً
ج يحتمل ان تقع البعوضة على شيء
سام او تمتص من دم انسان مريض بمرض
معدى قبلما تقع في الطعام فيكون منها ضرر
ولكن ذلك قليل نادر فلا يخشى منه وما
احسن ما قيل

اذا انت لم تشرب شرباً على القذى

ظنمت واي الناس تصفو مشاربة
والمعدة القوية تهضم العقرب والافعى
والمعدة الضعيفة يؤذيها اقل شيء مما يؤذي
واذا عاف الناس كل ما يقع فيه البعوض او
يقع عليه الذباب وجب ان يعافوا كل شيء

(٥) كثرة ولد الحيوانات

بدران افندي احمد. ان أكثر الحيوانات لا تلد إلا ولداً او اثنين ما عدا الكلاب والقطط والارانب فانها تلد من اثنين الى ثلاثة عشر فكيف ذلك

ج ان الغرض من الولادة حفظ النسل فاذا تعرضت الصغار للموت الكثير كثرت جداً حتى يحفظ النسل ولا ينقرض فالسمكة تبضع نحو مليون بيضة لانه لا يبلغ من اولادها غير اثنين او ثلاثة وكذا اكثر صغار الحيوانات التي هي صيد مستطاب لغيرها من الحيوانات الكبيرة فانها تلد اولاداً كثيراً حتى يبقى من ولدها ما يحفظ به نسلها بخلاف الحيوانات الكبيرة كالخيل والبق والأسود والافياء فانها تلد ولداً واحداً كل مرة لانها تستطيع ان تدافع عنه وتحميه حتى يكبر

(٦) دواء النمل

ومنه . كثير في دارنا النمل رغمنا عن اتخاذ الحيلة فهل لديكم وسيلة لانتقائه
ج نحن نتقي شره بسد كل الخروق التي يمكن ان يأتي منها ووضع ما يقع عليه في خزانة كبيرة ارجلها قائمة في اربعة آنية مملوءة رماداً ومسحوقاً بميت النمل . والرماد وحده يكفي لانه يتعدر على النمل الدب عليه

(٧) المسيحية والمصرية

كدوك باعالي النيل . فؤاد افندي
مفتي باش كاتب اعالي النيل . بماذا نجيب علماء

الديانة المسيحية على اقوال المستر وليم اوكلي
في كتابه Egypt & the Wonders
of the Land of the Pharos.

وهو ان قدماء المصريين كانوا يعتقدون باوسيرس كاعتقادنا نحن الآن بالمسيح تقريباً اي انه ولد بالروح وكان مع والده ووالدته المأ واحداً بثلاثة اقانيم وانه بعد ما قُتل وقُطع جسمه قطعاً عاش ثانية . وقد تمادى المؤلف حتى قال ان الديانة المسيحية ما هي الا نوع مما كان يعتقد به القدماء وضع على نسق احدث واكثر تهذيباً واستشهد اثباتاً لا قواله بصور وكتابات قال انها موجودة ليومنا هذا في انس الوجود باصوان وطبع تلك الكتابات في كتابه وعلق عليها شروحاً

ج يجيبون ان المستر اوكلي مبالغ متخيل قاصد ان يثبت امرأ في ذهنه والذي يقصد ان يثبت امرأ من اشياء غير واضحة يراه فيها او يتخيل له انه يراه فيها كما اذا رأيتم الغيم في السماء متشكلاً بشكل مختلفه فاذا تصورتم ان بعضه يشبه الجمل وبعضه يشبه الفيل وبعضه يشبه الانسان لم يتعدر عليكم ان تروا اوجه المشابهة . وفي كتابات المصريين الاقدمين عن اوسيرس امور كثير بعضها يشبه ما جاء في تاريخ السيد المسيح وبعضها يشبه ما جاء في تاريخ اي انسان كان ولكن ذلك ليس دليلاً على ان تاريخ كل انسان متخيل من الاخبار المصرية عن

اوسيرس . ومن المحتمل ان بعض الذين تنصروا من المصريين الاقدمين ادخلوا بعض معتقداتهم في الديانة المسيحية او في تعاليم الديانة المسيحية ولكن ذلك لا يدل على ان الديانة المسيحية مشتقة من الديانة المصرية لان المخالفات والمناقضات بينهما كثيرة جداً وتعليل بقاء المخالفات على فرض وحدة الاصل اصعب من تعليل وجود المشابهات . ثم ان من علماء الديانة المسيحية من هم اعلم من المستراوكسلي بالآثار المصرية كالاستاذ سايس القس اللاهوتي ومع ذلك لا يرى في الآثار المصرية ما ينقض معتقد المسيحيين في اصل ديانتهم . واذا صح ما يدعيه هؤلاء الباحثون عن اصل الاديان فالديانة المسيحية مشتقة من الديانة المصرية او من الديانة البوذية لان فيها ما يشبه هذه وفيها ما يشبه تلك فاي النقيضين هو الصحيح وهل اذا رأينا اموراً مماثلة في حياة يوليوس قيصر ونوليون بونابرت ومحمد علي باشا نستنتج انهم شخص واحد اخطأ المؤرخون لما ذكروهم في ازمئة مختلفة

واخلاصة ان اوكسلي بالغ كثيراً في ما ذكره من المشابهة وان المشابهة القليلة الموجودة قلما تخلو منها او من مثلها سيرة اثنين من الناس (٨) الحشرات بلا راس

ومنه . مسكت فراشاً اعجني تخطيطه ولونه فاحببت ان احنطه ففرزت دبوساً في رأسه ولكنه لم يميت بل حمل الدبوس وطار

فسكته ثانيةً وبينما انا اعالج اخراج الدبوس منه قطع رأسه عن غير قصد فني فظننت اليه أسفاً منتظراً موته في الحال لكنه لم يميت بل صقق باجنحه وطار فافتنيت اثره ومسكته ثالثة ووضعت في صندوق صغير وهو مقطوع الراس فبقي حياً يتحرك ثلاثة ايام ولكنه فقد بعض القوة ولم يعد قادراً على الطيران فكيف بقي حياً بعد انفصال رأسه وهل الفراش يخلف من جهة مركز الحياة عن بقية الطيور والحيوانات

ج يموت الحيوان اذا قطع رأسه لان في رأسه مركز الاعصاب التي تحرك قلبه ورئتيه واعضائه المختلفة فيمتنع نفسه ويسم دمه وتبطل حركته واما الحيوانات الدنيا كالفراس والنمل فان مراكزها العصبية غير مجمعة كلها في ادمعتها بل الكثير منها في ظهرها او في ما يقابل السلسلة الفقرية في الحيوانات الفقرية فاذا قطع رأسها نابت هذه المراكز العصبية عنه مدة الى ان تضعف قوة الحشرة من قلة الغذاء فتموت

(٩) تصبير الحشرات

ومنه . ما احسن طريقة لتصبير الحشرات الصغيرة كالفراس والصراصير على انواعها ج لا يلزم لتصبيرها سوى ان يفرز فيها دبوس وتوضع في خزانة صغيرة محكمة حق لا تصل اليها الحشرات التي تأكلها كالنمل والدود

(١٠) تفوق نبوليون

شيكافو. الياس افندي بطرس حلوه .
قرأت في مقتطفكم عن نبوليون وطالعت
تاريخه المطول بتدقيق فوجدت انه كان
يوصف بالعظمة ويذكر بان قواه تفوق قوى
البشر مما يويد ذلك جواب اللورد روزبري
في قوله " انه اذا اريد بالعظمة الجمع بين
الزبا العقلية الرائعة والادبية السامية فنبوليون
لم يكن عظيمًا ولكن اذا اريد بالعظمة المقدرة
العقلية والجسدية والتفوق في الصفات البشرية
فلا شك انه كان عظيمًا جدًا لم يمثله احد
قط من اعظم الرجال الذين يعرف تاريخ
اعالمهم " فوالحالة هذه لا يمكن ان نقول ان
نبوليون من الجن بل هو من الجنس البشري
ولكن يظن من صفاته وقواه التي فاق بها
غيره انه لا بد من ان يكون قد حدث
اختلاف اوزيادة في تركيب اعضاء جسده
اودماغه حتى فاق البشر بتلك الصفات التي
خص بها فهل لكم ان تفيدونا على صفحات
مقتطفكم عن اسباب ذلك التفوق

ج لا يعلم كيف يتولد النوازع من
الناس كما لا يعلم كيف تتولد الاصناف
الجديدة من الحيوان والنبات . ولكن المخالفة
نالموس تخضع له الاحياء كالمشابهة فيحيي
الولد مشابهاً لا سلافه من وجوه كثيرة ومخالفاً
لهم من وجوه اخرى وقد تكون هذه المخالفة
ارتفاعاً في النوع وقد تكون انحطاطاً فيه وقد

تكون صغيرة جداً لا يشعر بها ولا يلتفت
اليها وقد تكون كبيرة جداً حتى تخرج الفرد
عن صنفه وتجعله صنفاً جديداً او عن نوعه
وتجعله نوعاً جديداً قائماً برأسه . وقد يحدث
ذلك تدريجاً وقد يحدث فجأة كما ابنا في
الكلام على التحول الفجائي في الجزء السابع
من اجزاء هذه السنة . والظاهر ان نبوليون
خص بشيء من ذلك فولد وعقله قابل للنمو
في الامور الادارية والحربية وجسده قابل
لتحمل المشاق الى حد فاق به غيره وجاءت
الاحوال موافقة له فبلغ ما بلغ ولكن لما
تغيرت احوال معيشته واحوال البلاد حوله
ضعف جسمه او ضعف هضمه واثر ضعفه في
عقله فضعت عزمته واخطأت احكامه فغلب
على امره . ويعسر جمع المعلولات كلها في
اخلاق الانسان واطواره وردها الى عللها
الاصلية لانها لم تدرس الدرس الكافي حتى
الآن ولأن ملابساتها والمؤثرات فيها
كثيرة جداً واكثرها غير معلوم

(١١) العرب والسياسة

مصر . عطا افندي فهمي . هل اشتغل
العرب بعلم السياسة وهل لعلمائهم في هذا
العلم مباحث وما هي اعظم الكتب التي وضعت
فيه وهل يصح الاخذ بما فيها الآن

ج يظهر لنا ان العرب اشتغلوا بكل
العلوم التي ترجمت كتبها من اليونانية الى
لغتهم وفي جملتها علم السياسة لارسطو فقد

ترجموه وقلدوه ومن الكتب العربية فيه
السياسة المدنية لابي نصر الفارابي المتوفى سنة
٩٣٣ وسياسة الملك لابي الحسن علي بن محمد
الماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ والسياسة الشرعية
في اصلاح الراعي والرعية لابن تيمية. ويصح

الاخذ بما في هذه الكتب ولكنها لا تنكي
لان علاقات البلدان بعضها ببعض قد زادت
كثيراً وترتب على ذلك شؤون كثيرة لا
بدء للسياسي من معرفتها لكي يحسن سياسة
بلاده ويحكم علاقاتها بغيرها من البلدان

بَابُ احْتِجَابِ الشَّمْسِ

الكسوف في اصوان

حسب علماء الفلك ان كسوف الشمس
سيكون تاماً في اصوان فاوفدوا الوفود لمراقبته
من روسيا واميركا وانكلترا فالوفد الروسي
ورئيسه الدكتور دوبنسكي جاء لاجل
الارصاد المغنطيسية اي ليرى هل ثقل
مغنطيسية الارض باحتجاب نور الشمس عنها
فاعطته مصلحة الآثار المصرية مدفناً رجباً
حيث وضع آلاته بعيدة عن سائر آلات
الرصد لكي لا يؤثر فيها شيء منها. والوفد
الاميركي فيه الاستاذ هسي والاستاذ وست
وهو من اساتذة المدرسة الكلية الاميركية
في بيروت ويرصد معه. ووفدان آخران من
اميركا الواحد في لبرادور والآخر في اسبانيا.
وغرضهم رصد الاكليل الذي يظهر جلياً حول
الشمس وقت كسوفها وما يظهر فيه من

اوجه القمر في اكتوبر

اليوم الساعة الدقيقة			
الربع الاول	٥	٢	٥٤ مساءً
البدر	١٣	١	٣ صباحاً
الربع الاخير	٢١	٢	٥١ مساءً
اللال	٢٨	٨	٥٨ صباحاً

السيارات في اكتوبر

عطارد لا يرى في اول الشهر ثم يصير
نجم المساء في الخامس عشر منه
والزهرة نجم الصباح
والمرنج يغيب نحو الساعة العاشرة مساءً
الشهر كله
وزحل يغيب الساعة الثالثة صباحاً في
اول الشهر والساعة ١ صباحاً في آخره

الساعة ٣ والدقيقة ٩ ولما بلغ أشده بقي من الشمس هلال صغير كالقمر وهو ابن ثلاثة أيام ولكن نورها بقي ساطعاً لا تحمل العين النظر إليها من غير زجاجة مدخنة أو ملونة وبقيت الغربان والحداد محلق في الجوع على جاري عاداتها لكن العصفير الصغيرة سكنت

ديون اليابان

استدانت اليابان لهذه الحرب من أوربا وأميركا ٢٢ مليون جنيه سنة ١٩٠٤ و ٦٠ مليون جنيه سنة ١٩٠٥. ويبلغ ربا هذه الديون مع الديون التي استدانتها قبل الحرب خمسة ملايين ونصف من الجنيهات أي ما يساوي رسوم الاشرية الروحية فيها تقريباً. وكان غرض المالميين من اول الامر ان لا يزيد ربا دين اليابان على ذلك فوضعت الحرب اوزارها وخرجت اليابان منها بنصف سيغالين ورُدَّت منشوريا الى الصين واطلقت يدها في كوريا اكثر مما كانت مطلقة قبلاً واعترفت لها الدول الاوربية انها من الدول العظيمة. فاذا انتابها سنوات خصب متوالية سهل عليها القيام بالحمل الجديد الذي حملته بزيادة نفقاتها الحربية برية وبحرية وايفاء ربا دينها والارزحت تحت حملها. وكانت تظن ان روسيا تدفع لها غرامة مالية وكانت الجرائد والمجلات الانكليزية والاميركية تؤكد ذلك لكن خاب ظنها ولا يعلم هل

المشاعل والنشوات. ورؤية السيار الذي زعم البعض انهم رآوه حول الشمس وهو اقرب اليها من عطارد. والحكمة في جعل الوفود الاميركية ثلاثة في اماكن مختلفة ان ترى حركة المشاعل وسرعتها فاذا رأى الوفد الذي في لبرادور مشعلاً ورآه الوفد الذي في اصوان فتكون رؤية هذا له بعد رؤية الاول بنحو ساعتين ونصف فيعلم كم يطول او كم يقصر في هذه المدة وتعلم سرعته وكذا يعلم ما يحدث في الاكليل من التغيرات مدة الكسوف بين حدوثه في لبرادور وحدثه في اصوان. وفي الوفد الانكليزي الاستاذ ترنر والمستر بلي وغرضه قياس اشراق الاكليل على ابعاد مختلفة من مركز الشمس وقياس ما فيه من النور المنعكس او المستقطب. ولما حدث الكسوف كانت السماء صافية والرياح هاجعة اوتهب نسيماً وحدثت الماسة الاولى الساعة ٣ والدقيقة ٢٦ وانحجب وجه الشمس كله الساعة ٤ والدقيقة ٣٦ وبقي محجوباً دقيقتين و ٢٤ ثانية وظهرت نجوم كثيرة ولا سيما الريح وكان الاكليل واضحاً جداً والمشاعل كبيرة في مناطق الكلف والغرية منها اقصر من الشرقية وطول الاطول مضاعف قطب الشمس وظهرت مشاعل قصيرة من قطبي الشمس الشمالي والجنوبي وكانت النشوات كبيرة ولا سيما الناتئة من طرف الشمس الغربي. وشاهدنا الكسوف في العاصمة فابتداً

وحدها ٢٦,١ في الالف ٠ وفي السلطنة
الانكليزية ٣٣,١ في الالف ٠ وفي فرنسا
٢,٠١ وفي المانيا ٢,٠ وفي الولايات المتحدة
٩,٠٣ اي ان استخراج الفحم الحجري في
انكلترا اقل خطراً من استخراجِه في معظم
البلدان الاخرى

المسكرات في انكلترا

قدر بعض الانكليزانهُ لو صبَّ ما شربته
الامة الانكليزية من البيرة سنة ١٩٠٣ في
حوض لاستطاعت جميع سفن الاساطيل
الانكليزية ان ترسو فيه ولكن متوسط عمقه
٢٠ قدماً . ولوصفت البراميل التي توضع
فيها ثلاثة ثلاثة وثلاثة وطرف الواحد منها الى طرف
الآخر لامتدت من اقصى جبال اورال
الشامي الى راس سنت فنسنت في البرتغال
ويقتضي لشرب هذا القدر الهائل اذا شربه
انسان واحد في السنة ان يشرب ٦٦ برميلاً
في الدقيقة ليل نهار . ولو دفع رجل واحد
ثمن هذه البيرة لوجب ان يدفع نحو ٦
جنيهات كل ثانية ونحو ٢٠ الف جنيه في
الساعة ونصف مليون جنيه في اليوم . اي ان
دخل الحكومة الانكليزية كله في تلك السنة
يكفي لمشتري ما يشرب من البيرة في ثمانية
اشهر ونصف شهر فقط

على ان ما يفوت حصر الحاسب ووم
الكاتب ان الامة الانكليزية انفقت على

عادت من الحرب كاسبة او خاسرة الا بعد
ان تمرَّ عليها بضع سنوات وتظهر النتيجة
في مآلتها

المناجم ومعلقاتها

اصدرت نظارة الداخلية في انكلترا
تقريراً عمومياً عن مناجم سنة ١٩٠٣ يتضمن
احصاء مدققاً عن عدد العمال الذين استخدموا
في مناجم الدنيا في تلك السنة وما استخرج من
المعادن وعدد الذين اصابتهم النكبات وهم
يعملون فيها . فجاء فيه ان عدد العمال بلغ
٤٨٦١٩٣٢ الخمس منهم في انكلترا والثالث
في السلطنة الانكليزية كلها . واكثر من
النصف استخدموا لاستخراج الفحم الحجري فبلغ
ما استخرج منه في العالم كله ٨٨١٠٠٢٩٣٦
طنناً . وما استخرج من النحاس ٦٠٩٩٨٥ طنناً .
ومن الذهب ٤٩١٦٧٢ كيلو غراماً . ومن
الحديد ٤٤٥٤٨٩٦٢ طنناً . ومن الرصاص
٨٩٢٨٩٩ طن . ومن زيت البترول
٢٦٢٣٢٠٩٩ طنناً . ومن الملح ١٢٨١٨٢٥٣
طنناً . ومن الفضة ٤٩٩٧٤٩١ كيلو غراماً .
ومن القصدير ٩٨٢٩٥ طنناً . ومن التوتيا
٥٧٠٤٤٠ طنناً

وبلغ متوسط الذين ماتوا بنكبات المناجم
في العالم كله ٨٣,١ في الالف يقابله ٩٣,١
في الالف سنة ١٩٠٢ . ومتوسط الذين
ماتوا بنكبات مناجم الفحم الحجري في انكلترا

المسكرات من سنة ١٨٤٥ الى السنة الماضية ٧٣٩٠ مليون جنيه وهو مبلغ لو جمع ذهب العالم وفضته معاً ما بلغ ربعه وبلغ عشرة اضعاف الدين الانكليزي وثلاثة اخماس ثروة السلطنة الانكليزية اليوم واعظم من عشر ثروة العالم كله اجمع . وانفق الانكليز في العشر السنوات الاولى من المدة المذكورة ٨٥٣ مليون جنيه على المسكرات وفي العشر السنوات الاخيرة (١٨٩٤ - ١٩٠٤) ١٧٦٠ مليون جنيه او اكثر من ضعف المبلغ الاول . وفي الاربعين سنة الاخيرة ما يشتري جميع المنازل والمزارع وسكك الحديد في انكلترا كلها

لكن شرب المسكرات قلّ تدريجاً في الخمس السنوات الاخيرة فيها . فقد قلّ ثمن ما انفق عليها في السنة الماضية خمسة ملايين ونصف مليون جنيه عما انفق عليها في السنة التي قبلها و ١٧ مليون جنيه عما انفق سنة ١٨٩٩ وهي سنة زاد شرب المسكرات فيها عن كل سنة قبلها وبعدها فقد لحق الفرد فيها نحو ٤ جنيهات ونصف

خسارة الحروب

بلغ متوسط خسارة الجيش المنصور في ١٢ معركة كبيرة من حرب السبع السنوات التي جرت في القرن الثامن عشر ١٤ في المئة وخسارة الجيش المكسور ١٩ في المئة .

وخسارة الجيش المنصور في ٢٢ معركة من معارك حروب نابليون ١٢ في المئة والمكسور ١٩ في المئة . وخسارة المنصور في اربع معارك كبيرة من معارك حرب القرم ١٠ في المئة والمكسور ١٧ في المئة . وخسارة المنصور في ١٢ معركة كبيرة من معارك الحرب الاهلية الاميركية ١٩ في المئة والمكسور ١٩ في المئة . وخسارة المنصور في ثمان معارك كبيرة من اوائل الحرب السبعينية ١٠ في المئة والمكسور ٩ في المئة . وخسارة المنصور في ٣ معارك من اواخر الحرب المذكورة ٢ في المئة والمكسور ٣ في المئة . وبلغ متوسط خسارة الروس في ١٤ معركة من معارك هذه الحرب (ما عدا حصار بورت آرثر) ٩ في المئة واليابانيين ٤ في المئة

فيظهر مما تقدم ان خسارة الحروب قلت مع مرور الايام وذلك لاسباب منها ان الجيوش في الحروب الحديثة توجه معظم قوتها الى مكان واحد على خلاف ما كانت تفعل في الحروب الماضية فان تفرق قوة الجنود الاميركية مدة الحرب الاهلية هو السبب في كثرة ما سفك من الدماء فيها . ومنها ان الجروح الحديثة اسهل شفاء والرصاص الحديثة اقل فتكاً . ومنها قرب المسافة بين الفريقين المتحاربين في المعارك القديمة وبعدها في المعارك الحديثة . فقد كانت المسافة بين نابليون وولنتون في معركة ووترلو ميلاً وبين كبار القواد في معركة

خصائص قلوبات البلادونا وفعله أنه يوسع الحدة والاعوية الدموية ويخدر الجسم فيلقي عليه سباتاً عميقاً ويعوق التنفس ويزيد حركة القلب ويخدر الدماغ

وكيفية استعمال الدكتور شنيدرلن واتباعه له في عملياتهم الجراحية هي انهم يضعون مليفراً الى مليفراً ونصف منه في ستمتر مكعب من الماء ويحقنون المريض بالمزيج تحت الجلد قبل العملية بساعتين ثم يحقنونه به مرة ثانية قبل العملية بساعة ثم مرة ثالثة قبلها بنصف ساعة . وتحوطاً للخطر يضيفون الى المزيج قدراً صغيراً من هيدرو كلورات المورفين اي ستمترافاً في الستمتر المكعب . فلا تمضي عشرون دقيقة على الحقنة الاولى حتى يشعر المريض بنعاس شديد فيحاول مقاومة النعاس ويفرك عينيه بيديه ويأخذ يتشاءب ثم ينام نوماً طبيعياً كن أنهكه التعب والاعياء . وبعد الحقنة الثانية يعمق نومه ويقل تأثره فاذا ناداه احد باسمه مناداة قوية فتج عينيه ثم اطبقها واستغرق في نومه حالاً . وبعد الحقنة الثالثة يزيد استغراقاً في النوم ويشد به الخدر فيقدم الطبيب على العملية آمناً . ومن الغريب انه مها يكن نومه عميقاً فانه يستيقظ اذا نودي نداءً عالياً كن نام نوماً طبيعياً ولكنه لا يتأثر بالقرص والوخز واهم ما في طريقة التنويم هذه ان التخدير

مكدن بين ٢٥ و ٣٠ ميلاً . وكلما اقترب الجيشان التحاربان الواحد من الآخر زادت الخسارة لسهولة اللحاق بالجيش المكسور عند اندحاره والضرب في افقته

مخدر جديد

بمخت الجمعية الجراحية الفرنسية في ما هو افضل الطرق للتنويم بالكوروفورم عند عمل العمليات الجراحية بحيث يكون من ذلك اقل خطر على المريض اذ كثيراً ما يتفق ان المريض يمتنع لونه وهو تحت العملية وينقطع نفسه ويقف ضربان قلبه ويموت مع انه لم يكن قد استنشق سوى بخار نقط قليلة من الكوروفورم . فتداركاً لمثل هذا الخطر رأى بعض الاطباء ان يخفف الكوروفورم بمزجه بالهواء على مقادير مختلفة محدودة ولكن ذلك لم يف بالمرام لانه كلما زادت طريقة تنسيق الكوروفورم تعقداً زاد الخطر على المريض

وفي هذه الاثناء اهتدى الطبيبان تريبه ودجاردن الفرنسيان الى استعمال عقار جديد مكان الكوروفورم . وكان الدكتور شنيدرلن الالماني قد اكتشفه قبلهما واسمه سكوبولامين لانه يستخرج من نبات يسمى سكوبوليا جابونيكاً او البلادونا اليابانية . واول من حلله تحليلاً كيمياوياً لانجارد فاستخرج منه جسماً شبيهاً بالقلاوي له جميع

لابس الدرع اذا اراد مصافحة آخر ليس عليه درع نزع قفاز الحديد من يده . ومن عاداتهم ان يرفع الرجل قبعته عن رأسه عند ارادة السلام واصل هذه العادة ان الفارس المدرع في الزمان المشار اليه كان اذا ضاف رجلاً في قلعه رفع خوذته عن رأسه دلالة على انه لا يروم به سوءاً . ومعنى السلام العسكري ان المسلم لا يحجم عن رفع خوذته عن رأسه اذا سمح له القانون العسكري . واصل عادة اطلاق المدافع للسلام رغبة المسلم في اظهار ما له من الثقة بزاثره الى حد انه يطلق كل مدافعه حتى لا يبقى فيها بارود وقنابل قبل الوصول اليه والدخول عليه . وكانت المدافع تحشى في بادئ الامر بالقنابل ثم جعلوا يكتفون بالبارود خشية حدوث ما لا يحب

الشعب الالماني

كان عدد الالمانيين ٤٠ مليوناً سنة ١٨٧٠ فزادوا حتى بلغ عددهم ٦٠ مليوناً سنة ١٩٠٠ اي انهم زادوا ٥٠ في المئة في تلك المدة . وزاد عددهم في العشر السنوات الاخيرة ١٥٠٠٠ نسمة في المليون كل سنة على حين ان الانكليز زادوا ٩٤٠٠ في المليون والفرنسيون ١٧٠٠ فلا عجب اذا افقر الالمانيون بانهم سيملكون الارض في المستقبل اذا بقوا يزيدون على هذه النسبة ولكن هنا امرأ غريباً جديراً بالذكر

بقي بعد العملية مدة طويلة يسلم بها المريض من الام ضد الجراح بعد العملية فينام عدة ساعات . ومن المرضى من ينام خمس ساعات او ستاً ثم يستيقظ لياكل ويعود فينام . واذا استيقظ المصاب لم يتذكر شيئاً مما جرى في العملية او بعيداً

وهذه الطريقة لم تستعمل في فرنسا بعد ولكن الجراحين الالمانيين يستعملونها كثيراً وقد نوموا بها ١٥٠٠ مصاب او اكثر الى الآن والطيبان الفرنسيان المذكوران عوّلا على اتباعها في فرنسا ولكنهما تفتتا فيها . فبدلاً من الحقن ثلاث مرات بالسكوبولامين بحقن به مرة واحدة قبل العملية بساعة او ساعتين وفي اثناء العملية يستعملان قليلاً من الكلوروفورم

ولارب ان هذه الطريقة تفضل طريقة النوم بالكلوروفورم لانها تعطل زمان النوم والتقدير وتقلل الخطر اذ لم يمض حتى الآن احدها . وتفضل الكوكايين لان الكوكايين مخدر موضعي فقط

اصل بعض العادات

من عادات الغربيين انه اذا كان الرجل لابساً قفازين واراد مصافحة امرأة نزع القفاز الذي في كفه اليمنى قبل ذلك . واصل هذه العادة ان الناس في زمان الفروسية كانوا يلبسون دروعاً تغطي اجسامهم كلها فكان

وقد اتى بجثته دفنت في الارض لكي يبلى
لحمه ويبقى عظمه فينقل الى متاحف التشريح
ومن رأي المسيو بروسوان هذا الغورلا
من نوع غير النوع المعروف

المواليد والوفيات في انكلترا

يؤخذ مما نشره مكتب الاحصاء العمومي
في انكلترا ان متوسط المواليد قل في السنوات
الاخيرة حتى بلغ اقل ما بلغه قبلاً وهو ٢٧
في الالف في لندن و ٢٩,٢ في الالف في
٧٥ مدينة كبيرة . وقد ذكرت جريدة
ناتشر الانكليزية هذا الخبر قلقاً وعقبت
عليه بقولها اذا استمر الحال على هذا المتوال
فلا بد ان يجي زمان تزيد الوفيات فيه على
المواليد فيقل عدد شعبنا . ولولم يكن
متوسط الوفيات يقل وخصوصاً بين الاطفال
لادركتنا تلك المصيبة من قبل . وقلة
المواليد واقعة في الاكثر بين الطبقتين العليا
والوسطى والسبب في ذلك حب النفس وحب
الملذات وثقل مطالب المعيشة الحديثة

القطب الشمالي

عادت السفينة " ترانوكا " التي سارت
الى الاصقاع القطبية للتفتيش عن حملة
زيجاروهي ثقل رجال الحملة سالمين . فأخبرت
ان السفينة " اميركا " التي كانت ثقل المسير
فيالا قائد حملة زيجار ورجاله بلغت جزيرة

وهوانه بينما ترى الالمانيين سكان المانيا
يزيدون هذه الزيادة الكبيرة ترى الالمانيين
سكان النمسا والمجر وغيرها يقولون سنة فسنة
وعدهم الآن ٣٠ مليوناً . وليست قلتهم
ناشئة عن انقراضهم بل عن فقد الصفات
الالمانية التي تميز الشعب الالماني عن غيره
وعلم تمسكهم باللغة الالمانية . وعليه يقدر
انه لا تقضي ٤٠ او ٥٠ سنة حتى يدرج
الالمانيون الذين خارج المانيا في الامم الذين
يساكنونهم في كثير من ممالك اوربا وفي
الولايات المتحدة فيفقدوا المزايا الالمانية
الخصوصية

جبابرة القروء

ورد من اخبار الجزائر ان بعض السياح
كانوا يسبحون في اعالي نهري لوم وسنجا فراوا
قروءاً هائلة الكبر من نوع الغورلا . وان
سائحاً اسمه اوجين بروسو عاد الى الجزائر
حديثاً من سياحته في تلك البلاد ومعه
صور فوتوغرافية لغورلا قتله احد رجاله
فاخبر ان طوله ٧ اقدام و ٦ بوصات وعرض
كتفيه ٣ اقدام و ٩ بوصات وثقله ٧٢٠
رطلاً . واقتضى لجرم ثمانية رجال . اما
منظره فيشبه الغورلا المعروف فان جبهته
كبيرة منحرفة الى الوراء واذنيه صغيرتان
جداً وجلده عار من الشعر على صدره ومعدته
اما كتفاه وركبته فغطاة بشعر طويل

تصوير الكليل الشمس

قلنا في نبذة الكسوف ان غرض الوفد الاميركي الذي جاء لرصد الشمس هو رصد الاكليل الذي يرى حولها وقتما تكسف وهذا الاكليل موجود حولها دائماً ولكن نتعذر رؤيته لان نور الشمس يكسف نوره وقد حاول البعض اكتشاف طريقة يحجب بها قرص الشمس ويصور اكليلها فقط وظنوا انهم نجحوا في ذلك ولكن تبين بعدئذ انهم لم ينجحوا وان ما ظنوه اكليلاً انما هو خطأ في التصوير. ويقال الآن ان الدكتور هوسكي مدير مرصد اودسا بروسيا اكتشف طريقة لتصوير الاكليل والشمس غير مكسوفة وكان عازماً ان يصوره قبيل كسوفها تماماً ثم تقابل صورته بصورته وهي مكسوفة

واقية الاوتوموبيل

كثرت الحوادث التي يصطدم فيها الاوتوموبيل بشيء فيلحق به ضرراً او يلحق الضرر به وبالذين فيه وقد استنبط بعضهم شيئاً لا نفاء ذلك وهو نصف اطار من الكاوتشوك ينصب امام القنديل الواحد ونصف اطار آخر امام القنديل الآخر فبذلك قوة الصدمة وقد جربا في اوتوموبيل قوته عشرون حصاناً فوفيا بالغرض

البرنس رودلف في اواخر اغسطس سنة ١٩٠٣ فانشأت هناك محطات مغناطيسية وفلكية . ولما دخل شهر اكتوبر اطبق الجليد عليها فانكسرت في نوفمبر اما رجالها فنجحوا الى البر على المزالق . وفي يناير سنة ١٩٠٤ ثارت الزوابع والعواصف فتكسر الجليد وانتثر قطعاً وتبددت آثار السفينة . فحاول رجال الحملة بلوغ القطب ثلاث مرات على المزالق فلم يفوزوا باربعهم بل كان اقصى حد بلغوه شمالاً على عرض ٨٢ و ١٣ ولكنهم اكتشفوا اموراً كثيرة قيمتها العلمية عظيمة

الدم في الاماكن العالية

راقب المسيو راول بابو الدم في الذين يصعدون جبل بلانك في اوربا فوجد ان الكريات الحمراء تزيد فيه كلما صعد الانسان من مكان الى مكان اعلى منه واذا اقام هناك قلت الكريات الحمراء نوعاً ولكنها تبقى اكثر مما كانت قبلاً . ثم اذا نزل الى مكانه الاول وصعد ثانية قبلما تعود الكريات الى حالها الاولى زادت ثانية اكثر مما زادت اولاً . ونظير هذه الزيادة في الذين لم يعتادوا الاقامة في الجبال العالية اكثر مما تظهر في الذين اعتادوها . وهذه هي اول مرة عدت فيها كريات الدم في اعلى جبل بلانك وهو اعلى جبال اوربا . وعليه فبين سكنى الجبال العالية واحمرار الوجه علاقة سببية

رصد الكسوف في اصوان

بعد كتابة ما تقدم على الكسوف وقفنا على رسالة في الغازت ذكر فيها كاتبها امورا لم تذكر في ما تقدم فاقتطفنا منها ما يلي اتماما للفائدة

اقام الاستاذ نرر رئيس الوفد الانكليزي اثنين كبيرتين للتصوير الشمسي فيهما مرآتان كبيرتان عاكستان وقد تمكن من تصوير اربع عشرة صورة فوتوغرافية. واقام الوفد الروسي الى الغرب منه ومعه تلسكوب كبير عاكس وآلة تصوير متقنة وصوّر اربع صور. هذا عدا رصد التغيرات المغنطيسية التي قام بها على الضفة الغربية. واقام الوفد الاميركي اثنين للتصوير الشمسي كبيرتين جدا طول الواحدة منهما اربعون قدما صوّر بها عشر صور تختلف مدتها من نصف ثانية الى ٦٤ ثانية. والثانية فيها اربع عدسات بحيث تصور بها اربع صور مختلفة في وقت واحد وقد صورت بها ثمان صور

اما الآلة التي طولها اربعون قدما فنصبت على الارض افقية ووضعت امامها مرآة تعكس صورة الشمس اليها وحكمت المرآة امام الشمس تماما وكانت تدور معها وتبقى الصورة المنعكسة عنها في محلها ولا يخفى ما في ذلك من الصعوبة الكبيرة. ثم ان انبوب الآلة جعل طبقين الواحدة داخل الاخرى حتى تكون

الطبقة الخارجة بمثابة واق للطبقة الداخلة واقام الدكتور ميروالما في تلسكوبا صغيرا ولكنه قوي جدا صوّر به اطراف الاكليل ونصب المستر رينلدز تلسكوبا في محطة سكة الحديد طوله ١٢٠ قدما صوّر به صورتين واتفق ان اتى القطار الى اصوان في ساعة الرصد لكنه نظر عن بعد قبلما يصل الى المحطة واشير اليه ليوقف فوقف في مكانه ولولا ذلك لثلف الرصد بهذه الآلة

اما المرصد الخديوي فرصد رجاله التغيرات المغنطيسية في ثلاثة اماكن مختلفة في اصوان ودكا على سبعين ميلا من اصوان جنوبا وادفو على سبعين ميلا من اصوان شمالا ويقال ان ظل القمر ظهر مارا على التلال في الضفة الغربية قبيل تمام الكسوف ودام الكسوف الثام دقيقتين و ٢٤ ثانية وقد رحبت الحكومة المصرية بالوفد كلهم وبذلت وسعها في ما يريدونهم ويسهل عملهم فعادوا شاكرين لها معترفين انها من اول الدول في عضد العلوم

منع ضرر البرد

عرض المنيو فيدال حديثا مذكورة على مجمع العلوم الفرنسي ابان فيها فائدة القنابل التي اخترعها لمنع ضرر البرد. فقال ثارت زوبعة برّد في اول اغسطس سنة ١٩٠٤ وكان مبدؤها على علو عشرة آلاف قدم في

دالية قديمة

في انكلترا دالية (شجرة كرم) زرعت سنة ١٧٦٩ فكبرت وضخمت حتى بلغ محيط جذعها ١٣ بوصة وطول اطول اغصانها ١١ قدماً سنة ١٨٣٠ . وحملت في احدى السنين ٢٢٠٠ عنقود عنب معدل ثقل العنقود منها رطل مصري وثقل حملها كله طن تقريباً

مجمع ترقية العلوم البريطاني

التأم مجمع ترقية العلوم البريطاني في مدينة الراس بجنوبي افريقية . وخطب فيه الاستاذ دارون بن دارون الشهير خطبة الرئاسة وسنأ في على خلاصتها وخلاصة غيرها من الخطب في الجزء التالي

غلة القمح في اميركا

موسم القمح في الولايات المتحدة الاميركية اكبر مواسم الحبوب فيها فقد بلغ ثمنه في السنوات الاخيرة ٢٠٠ مليون جنيه سنوياً وزاد في بعض السنين على ذلك

اكرام العلماء

عينت بلدية برلين اربعة آلاف جنيه لاقامة تمثال تذكراً للعالم فركو من اعظم علماء الطب بين الالمانيين

جبال الالب فرّت على سهول واسعة في تلك الناحية وانزلت ضرراً عظيماً بما فيها من الزروع الاً قريتين صغيرتين فانها لم تلحق بهما ضرراً والسبب في ذلك ان المسيو فيدال كان قد اطلق بعض قنابله فيهما قبل مرور الزوبعة

المعالجة بالمصل

يعدّ العلماء العشر السنوات من سنة ١٨٨٠ الى ١٨٩٠ العصر الذهبي لعلم فلسفة الامراض ابي معرفة اصلها وسببها لانه اكتشف فيها مكروب الحمى التيفوئيدية والسل والمالاريا والكولرا الاسيوية . على ان العشر السنوات التي تلتها (١٨٩٠ - ١٩٠٠) ليست اقل شهرة منها في هذا الباب فقد اكتشف الدكتور بهرنغ فيها المعالجة بالمصل ففتح الباب ومهد السبيل لطريقة جديدة من طرق معالجة الادواء اذا امكن تعميمها عدت اعظم اصلاح في علم صحة الانسان

كرم الاغنياء

منح المستر جون ركفلر اغني اغنياء اميركا مجلس التعليم العمومي عشرة ملاين دولار (مليون في جنيه) بنفق ريعها على تعليم العلوم العليا في الولايات المتحدة الاميركية . ومنح كلية بايل مليون دولار اخري (مئتي الف جنيه)

فهرس الجزء العاشر من المجلد الثلاثين

٧٦٩	مقام المعلم . للرئيس روزفلت
٧٧٣	همة الشيوخ
٧٧٥	غرائب النبات والحيوان
٧٧٧	المدح والذم والتقريض والانتقاد . للاستاذ سعيد الخوري الشرتوني
٧٨٧	زوجها ابوها . لنقول افندي رزق الله
٧٩٠	القوي يأكل الضعيف
٧٩٣	المعالجة الحديثة
٧٩٦	تاريخ محمد علي باشا (مصورة)
٨٠٩	منتخبات من ديوان الحماسة
٨١٣	السفن الحربية في مئة عام (مصورة)
٨١٦	الاحضارات والقبريات . لعيسى افندي اسكندر المعلوم
٨٢٣	الاتون الكهربائي

٧٤٦	باب تدبير المنزل * النساء وانتخاب النواب في انكلترا . تهذيب النساء . طعام النظم حب الصبا . النمش
٨٢١	باب الزراعة * تلقيح الاثمار . المن والندوة . الاراضي الزراعية في الفيوم . الحشرات والزراعة
٨٢٨	باب التقريض والانتقاد * ديوان الراجعي . آفات المدنية الحاضرة . جيولوجية النجوم . معين المبتدئين . الالزم . مرشد الهدايات . الفهيمات . كتاب حاضر المحبة ومستقبلها
٨٤١	باب المسائل * تولد البعوض ودواؤه (مصورة) . ضرر البعوض بالطعام . لغة الافزام عدد الافزام . كثرة ولد الحيوانات . دواء النمل . المسيحية والمصرية . الحشرات بلا راس تصوير الحشرات . تفوق نبوليون . العرب والسياسة .
٨٤٦	باب الاخبار العلمية * وفيه ٢٤ نبذة رواية فتاة مصر ملحفة بالمقتطف

الفصل التاسع والعشرون

الخطر الاصفر

السر هنري غراي — أقرأت يا مسر ادورد ما كُتب امس عن الخطر الاصفر
السر ادورد برون — نعم قرأت ما كُتب امس وما قبله بل قرأت اكثر ما كُتب في
هذا الموضوع وعندي انه كله اوهام في اوهام ذرة من الحق في بحر من الباطل . هذه
اضاليل الروس يريدون ان يثيروا بها الرأي العام الاوربي علينا لاننا حالفنا اليابانيين ووقفنا
بينهم وبين دول اوربا لثلا تعتصب عليهم

السر هنري — مهما يكن غرض الروس والامان فهو لا يغير الحقيقة ان كان لما يسمى
بالخطر الاصفر حقيقة . وانا لا ارى لماذا لا تكون له حقيقة واقعية فان الصينيين ليسوا
اضعف من اليابانيين ولا اقل منهم مهارة ولا هم الآن ابعد عن العمران مما كان اليابانيون
منذ ثلاثين او اربعين عاماً واليابانيون انفسهم يشهدون للصينيين انهم اسياهم واساتذتهم
نعم انهم يكرهونهم ولكن كرههم لم يمتل كره الضعيف للقوي اذا كانا متجاورين . وهذه
الامور قلما كان يخلف فيها احد من كل الذين كتبوا عن الصينيين واليابانيين منذ ثلثة
سنة الى الآن ولاسيا بعد ان نظم غوردون بعض الجيش الصيني وشهد له . ولم يبق احد يرتاب
فيها الا في هذه الايام بعد ما تغلبت اليابان على الصين في الحرب الماضية والذين ارتابوا لم
يدعوا ان اليابانيين ارق من الصينيين بالفطرة بل قالوا ان اليابانيين اتفق امهم اقتبسوا
اساليب الاوربيين في تنظيم الجيوش واستخدام البوارج فجازوا على الصينيين في المكان الذي
حاربهم فيه . واذا كان الصينيون كاليابانيين في استعدادهم الفطري فلا بد من ان يقبوا
مثلهم اذا اخذوا اخذهم وتربوا تربيتهم وتأهبوا تأهبهم . ثم تأتي مسألة العدد وغنى الارض
الطبيعي اما من حيث العدد فاهالي الصين اكثر من اهالي اوربا كلهم واما من حيث غنى
الارض الطبيعي فلا اغنى من بلاد الصين فهي من اخصب الاراضي الزراعية واكثرها معادن
من الذهب والفضة والنحاس والقصدير والرصاص والحديد والنفط الحجري والحجارة الكريمة
على انواعها . وانهارها كبيرة تسير فيها السفن ويكثر فيها السمك فهي من كل وجه صالحة
لنقل سكانها مثل احسن الممالك الاوربية فلماذا لا يرثي اهلها اذا اخذوا اخذ اليابانيين
وساروا في خططهم العلمية والحربية . واذا ارتقوا ارتقاءهم واتحدوا معهم لم يمكننا ان نقف
امامهم في اسيا وقد لا نستطيع ان نقف امامهم في اوربا نفسها اذا هاجمونا فيها

وكان السر هنري غراي يتكلم بتأن على جاري عاديته وهو كهل طويل القامة كث اللحية ابيض الوجه براق العينين فصيح المنطق مشهور باصالة الرأي بين اقرانه فقال له السر ادورد برون ان كان للخطر الاصف وجود في الحقيقة فلا يمكن ظهوره في عشر سنوات ولا في عشرين سنة لان حكومة الصين مبنية على الفساد والرشوة من اولها الى آخرها ولا يكفي ان تكون الامة مستعدة للارتقاء بل لا بد لها من قائد يقودها ومرشد يرشدها وعندي انه لو لم توفق اليابان بامبراطورها الحالي لكانت الآن مثل غيرها من ممالك الشرق الصغيرة ولكن امبراطورها هو الذي جمع كلمة شعبها وسار به في هذا الطريق . والصين على ما تعلم ليست كذلك والذين يوجسون شراً من تقدمها لا يتعذر عليهم ان يمنعوا اتصال ملكها الى امبراطور حازم كامبراطور اليابان السر هنري غراي — أه هذه مسألة اخرى وانا اعلم ان كثيرين يستعملون هذا المنكر ولكن نحن الانكليز لا نستعمله

السر ادورد — لا اعلم ولكن ما معنى الجهاد وتنازع البقاء ان كنت ادع خصمي يقوى عليّ ويأكمني ولا اتعداه قبلما يتعشاني . وانا اعلم ما يدور في خاطرك الآن وهو ان الديانة المسيحية والا داب المسيحية تنهانا عن ذلك وتأمرنا بان نفعل بالغير كما نريد أن يفعل الغير بنا ولكن ان كانت الديانة والا داب تأمرنا بشيء والطبيعة نفسها تأمرنا بضده فحكم الطبيعة هو الغالب اخيراً . ولا اوضح من هذا الحكم بين احكام الطبيعة ونواميسها وهو ان كل نفس مدفوعة الى الجهاد والتغلب على الغير بالقوة او بالحيلة او بهما كليهما وانا وانت على طرفي نقيض من هذا القبيل ولكنني واثق بصدق وطنيتك وبانك لا تشايح اولئك الخونة الذين يحملهم اوهامهم على التنديد بالحكومة ولورأيت فتوراً في جريدتك منذ الشهر الماضي

السر هنري — اظنك تشير الى انتقادي الاخبار المبالغ فيها عن الثورات والقتال في بلاد الروس فانا لا استعمل نشر مثل هذه الاخبار على علامتها ولو كنت لا اعلم حقيقتها لكان لي عذرا ما وانا عالم مصادرها ومقاصدها فيستحيل عليّ ان اوافقكم على نشرها كما هي واظن انه كان يجب عليّ ان اكذبها تكديباً ولولا اعتقادي ان فيها ذرة من الحق لكذبتها حقاً . واستغرابي من السر كبل كاراشد من استغرابي منك لانه يدعي الدفاع عن مصالح الشرق والمشاركة ولكنه اشد الناس وطأة على الروس

ودخل السر كبل حينئذ فقال له السر ادورد ما هي اخبارك الآن فقال . يظهر ان الثورة ستم بلاد الروس كلها ولا سبيل لنا لتوقيف هذه الحرب وجعل الروس يطلبون الصلح الا اذا ثار الروسيون على حكومتهم

فقال له السرهري أستحل ذلك . فقال لماذا لا نستحله من لا يستحل توقيف الحرب ودفع وبلاتها واصلاح الحكومة الروسية بتنبيه شعبها الى طلب حقوقه

السرهنري — انا لا اسألك عن الغاية بل عن الوسيلة هل تستحل اثار الثورة في البلاد لكي تنتج عنها نتائج حميدة . ومن يستطيع ان يحتم ان نتائج الثورة تكون حميدة ولماذا لا نقول انها لا تنفق عند حد الدستور بل تتجاوزها الى الفوضى ولماذا لا نقول انه اذا صارت بلاد الروس نياية في الاحوال الحاضرة فشعبها يستمر على الحرب الى ما شاء الله ولا نعود نجد احداً مخاطبة في امر الصلح . لا بأس ركبل انا لست من رأيك في ذلك وبقيني انك لست على الصواب واجتمع حولهم حينئذ اناس كثيرون وانقسموا فرقاً فرقاً يتباحثون ويتناخرون . وكان اليوم شديد الحر على خلاف العادة في شهر اكتوبر . ومشى السرركبل كار مع السرادورد برون وسأله عن ابنه وابنته فقال انهما عادا من مواقع الحرب لا يخرف الم بصحة دورا . ومرأى الى اليابان فزاد الانخفاف في صحة دورا واضطرا ان يبقيا هناك مدة ولكنهما سافرا منذ ايام واظن انهما يصلان الى مصر في اواسط الشهر المقبل ويظهر لي ان هنري سيصير من حزبك السرركبل — من حزبي اي حزب

السرادورد — من حزب المشاركة هو لم يكتب لنا شيئاً في هذا الموضوع ولكن دورا اشارت الى ذلك في مكاتيبها بل صرحت به وقد اضطر ان اذهب انا ولادي برون الى مصر السرركبل — ماذا اميرية يابانية او صينية او هندية . لقد كان هنري دائماً يميل الى التصورات الشرقية مثل امه

السرادورد — لا يابانية ولا صينية ولا هندية بل فتاة من بنات فرعون ومن نسل الفراعنة السرركبل — من نسل الفراعنة حسناً حسناً هذا هو الشعر بعينه السرادورد — لكن الامر لم يزل سرّاً ولم نكشف به احداً وانت اول شخص اخبرته به لانني لا ازال استبعده جداً وهنري نفسه لم يصرح بفكره

السرركبل — اتخاف ان اذهب وانشره في "المشرق" . ما هو رأي مس برون فيه فاني اعتمد على رأيها قرأت المقالات التي نشرتها بامضاء D في لندن نيوز وهي منها حتماً وقد وصفت فيها المستشفيات النقاله وصفاً لم اقرأ ابغ منه . واتذكر الآن انني قرأت لها مقالة عن مصر وصفت فيها بيت احد الباشاوات وابنته اهذه هي الفتاة السعيدة التي اخلفت قلب هنري

السرادورد — كلاً فان الباشاوات ليسوا من نسل الفراعنة ويندر ان يكون منهم من هو من نسل المصريين ولكن الفتاة التي احبها هنري قبطية فهي من نسل المصريين

الاقدمين ويظهر من وصف دورا لما انها بديعة الجمال طويلة القامة هيفاء القد تشبه صورة
مصرية خيالية موجودة في بيتنا

السركيل - ربما اذهب معكم الى مصر فان مصر صارت لنا الآن بعد الاتفاق الاخير
مع فرنسا فصار يسهل علينا ان نزورها كل سنة

السرادورد - لقد اعجب كل احد بهذا الاتفاق على مصر الا لادي برون فانها تظن اننا
غبناً فرنسا اخذنا منها اكثر مما اعطيناها. وقد قالت صريحاً اننا اخذنا اللحم واعطيناها العظم
وهي مستغربة كيف رضيت فرنسا بمراكش لاسيما وان المانيا ستكون لها في المرصاد هناك.
لا تزال نحن الى وطنها والدم لا يصير ماءً ويخال لي ان هذا الميل في هنري الى المشاركة
موروث من امه لان الدم الفرنسي يميل الى اهل المشرق

وتصافحوا وعاد السرادورد الى بيته فوجد زوجته في انتظاره فقالت له وصل تلفراف
من هنري ودورا من الهند وسيكونان في مصر في اوائل نوفمبر فيجب ان نصمم على السفر

الفصل الثلاثون

المرافعة

رشيد بك . لا تكلمني يا احمد بك في هذا الموضوع فانك تعرف انني ان ابدت لك
رأبي التزمت ان انسحب من الجلسة ولكنني انصح لكم ان تبطأوا هذا التهييج في الجرائد
احمد بك - اي تهيج واية جرائد فانت تعلم ان الخواجه لا في لا يكاد يعرف ان
يكتب اسمه بالعربية واما انا فاظن انك تجلني عن ان استنجد بالجرائد في مسألة لم ترفع فيها
حتى الآن ولست والحمد لله قاصراً عن المرافعة واقامة الحجج حتى التجيء الى اثاره الرأي العام
رشيد بك - قاصراً او غير قاصر فهذه واقعة الحال ولم تكتفوا بالكتابة والتهيج بل
ارسلتم الينا اعداد الجرائد التي كتبتم فيها حتى تطلعونا على تهيجكم للرأي العام وانتصاركم به
على القضاء هذا عدا مكاتيب التهديد والوعيد . نعم ان اليهود اغنياء ولكن لا يليق بهم ان
يستخدموا غناهم لتهيج البلاد وارجو من فضلك ان تعذرني عن الخوض في هذا الموضوع
لما سمع احمد بك ذلك منه لم يسعه الا السكوت لانه رأى ان القضاة على رأي واحد
ونهن بعد قليل وودع وانصرف وكان ميعاد المرافعة في اليوم التالي فخرج الى ادارة
احدي الجرائد وكتب فيها رسالة تبرا فيها من كل ما نشر في الجرائد الاخرى دفناً

عن الخواجه لاثي . وكان يتردد في المساء على احد الملاعب الذي يتردد عليه كبراء القوم
فذهب اليه تلك الليلة على جاري عادته والتقى فيه برجل من كبار رجال الحكومة وكان من
خلص اصدقائه فاعرض عنه بوجه باسر فاستغرب منه ذلك لانه لم ير منه هذا الاعراض
قبلاً واوجس شراً وسأله ما الخبر فقال له األى هذا الحد يا احمد بك نتهمتنا نحن والقضاة
بالانحياز الى رجل سمسار وتزعم اننا شركاؤه في المضاربة هب اننا نضارب يا اخي أفيليق
بك ان تشهرنا في الجرائد هذا التشهير هوذا كلنا نجتمع في هذا المكان وليس منا من هو
افضل من الآخر فان كنت اخرج من هنا واندد بك لانك تأتي اليه فماذا نقول عني ومع
ذلك فاني أوكد لك انني لا اعرف صورة عزرا هذا ولا رأيت قط ولا اعرف ابن مكتبة
ولم اضارب بقنطار قطن عن يده وكل اصدقائك مغناظون منكم

فوقع هذا الكلام كالصاعقة على احمد بك وجعل يقسم له الايمان المغلظة انه لم يكتب
كلمة في هذا الموضوع ولا في غيره وقال له لو لم اسمع هذا الكلام من سواك لاستغربته منك
تمام الاستغراب ولكنني سمعته اليوم وامس وكذبت هذه الاشاعة اليوم في الجريدة الفلانية
وكانا يتكلمان بصوت منخفض لئلا يسمع احد ما دار بينهما من الكلام ولما رأى احمد
بك ان صديقه لم يصدق كلامه اغناظ منه وخرج مغضباً ونام تلك الليلة مبجل البال
مضطرب الافكار وقام في الصباح للرافعة وكان من الخطباء المعدودين

وجلس الخواجه لاثي في الصباح مع عائلته ليشرب فحجان الشاي واللبن على جاري عادته
وكان قلقاً مضطرب البال وعرفت استير ما يجول في خاطره لانها شديدة الفراسة ماهرة في
قراءة افكار ابائها فقالت له لماذا تقولوا المرافعات من عند القناصل الى المحاكم الاهلية
فقال لانهم ظنوا انها صارت كفوءاً لتوثقن على ارواحنا

فقالت وهل تظن انها ليست كفوءاً لذلك

فقال اني لا اكاد اعرف احداً من قضاتها معرفة تامة ولكن ان كانوا يتأثرون من كتابة
الجرائد ويعلقون عليها هذا الشأن كما بلغني عنهم وكما يشكون جهاراً فليس ذلك مما يمدح
فيهم . ونحن حقاً واضح كالصبح رجل رمى بنفسه عمداً امام مركبتنا وقد فعل ذلك باغراء
رجل آخر وقصد المغربي الانتقام منا وقصد المغربي ان ينصب علينا مقابل ما يصله من
الاذية ولا لوم علينا ولا على السائس ولكن اليوم كل اليوم على المغربي والمغري وكلاهما فعل
ما فعل عن سوء قصد متممداً الاضرار بنا فان رأت المحكمة ذلك جلياً كما نراه نحن وبرأتنا
وحكمت على الجاني الاصل فتكون قد عدلت في حكمها واذا بقيت معتقدة انني رشوت الجرائد

حتى كتبت ضد عزرا واتهمت رجال الحكومة بمشاركته والتشيع له واستنتجت من ذلك اني مجرم فحكمت على السائس بالسجن وتركت للمحكمة المخلطة الحكم علينا بالحق المدني فهي بلا شك مخطئة ومهما كان لها من العذر في خطأها فهو لا يبررها من الخطأ ولا يقوي ثقتنا بها. والثاس الاعذار المحاكم بان اصحاب الحق لم يؤيدوا حقهم التأييد الكافي امامها لا يبررها الا اذا كانت غير قادرة ان تكشف الحق بنفسها لان ليس الغرض من المحاكم ان تحكم بان حجة زيد اقوى من حجة عمرو كما يفعل اهل الجدال بل ان تكشف الحق وتبينه. بالامس رفع رجل دعواه الى المحكمة المخلطة على رجل آخر انه استدان منه مالا ولم يوفه اياه. وقال المدعى عليه انه اوفاه المالك ولكن المدعي حفظ السند عنده مدعياً انه لم يكن له وصول اليه حينئذ واعطاه بدلاً منه وصلاً بالمبلغ وان الوصل ضاع منه. فالذي يأخذ بالظواهر يقول ان المدعى عليه لم يستطع ان يثبت براءته وهو ملوم لانه اوفى الدين من غير ان يسترجع السند ان كان قد اوفاه حقيقة وما دام السند في يد الدائن فهو صاحب الحق. لكن المحكمة لم تكتف بهذه الظواهر بل عرفت بالبحث ان المدعى عليه فلاح بسيط وكل القرائن تدل على انه صادق المعاملة واما المدعي فالسوابق تدل على انه غير مستقيم فتكلفت البحث في دفاتره فوجدت منها انه استوفى الدين فبرأت المدعي عليه واحالت المدعي على محكمة الجنايات اي انها لم تكتف بحجج الخصمين بل بحثت بنفسها عن الحقيقة حتى وجدتها

فقلت استير وبماذا يمكن ان يحكموا علينا

قال انهم يحكمون على السائق بالاغفال الشاقة لانه قتل غير متعمد ويحكمون علينا بالتعويض المدني بعد ثبوت الجناية وقد يحكمون بكل ما يطلبه الخصم وهو عشرون الف جنيه فتكفل معنا هذه السنة خسائر في القنصلية والدين الروسي وبهذه الغرامة

فقلت ولكن المحاكم المخلطة لا تأخذ بالظواهر كما قلت فترى الحق ولا تحكم علينا بشيء فقال قد يكون ذلك ولكن من يعتني بعائلة السائس مدة سجنه الا نلزم بها نحن اكراماً لعيني اخيك حتى لا يركب الا مثل اولاد الباشوات

فقلت كيف يكون الحال لو برأتنا المحكمة المخلطة الا يصير تضارب بين الحكامين المحكمة الاهلية تحكم بالادانة والمخلطة بالتبرئة

فقال نعم يصير ولكن احمد بك يقول ان المحكمة نفسها تحكم اليوم بالادانة وغداً بالتبرئة في مسألتين متشابهتين تمام المشابهة بل اعرف ما هو اعرب من ذلك فان احد اصدقائي كان له قضية مدنية فحكمت المحكمة الابتدائية ضده فاستأنف فحكمت محكمة الاستئناف له.

وسمعه بالامس يتكلم مع احد قضاة الاستئناف فقال له القاضي اشكر الصدفة التي جعلت قضيتك في جلسة لست فيها انا لانها لو اتت امامي لحكمت عليك لالك. فانت ترين ان القضاة يكونون حسبما يتراءى لهم لا حسب الحق المجرد كأنه لا يوجد ما يسمى حقاً مجزئاً. ولا تنسى ان القواعد الخارجية تفعل بالقضاة كما تفعل بغيرهم من الناس لانهم لم يخرجوا عن كونهم بشراً وقد بلغني ان خصومنا استخدموا ذلك الآن فكتبوا في الجرائد كتابة تظهر كأنها منا وفيها يتهددون القضاة بأفشاء اسرارهم ان هم حكموا لعزرا ولم يكتبوا بذلك بل كتبوا الى القضاة انفسهم مكاتيب من غير امضاء يتهددونهم فيها بمثل ذلك وانت تعلمين ان هذا الامر لم يحظر بيالي قط ولا انا مجنون حتى افعله لانني اعلم الله يعود علي بالضرر ومع ذلك صدق حضرات القضاة اننا نحن الكاتبون لتلك المكاتيب واننا نحن نقصد اثاره الراي العام عليهم وعلى الحكومة بما لنا من الصولة وجاراهم رجال الحكومة في هذا التصديق

فقلت أو تظن يا ابي انه يمكن لرجال يشغلون مناصب عالية ان يصدقوا هذه الخزعبلات فقال الم اقل لك انهم صدقوا وعاتبونا هم ورجال الادارة ايضاً
فقلت اذا نحن النساء اقدر منكم على اكتشاف الحقائق فانك حالما قلت لي عن الكتابة في الجرائد ادركت انها فعل خصم لا فعل صديق وانها حيلة شيطانية ولكنها صبيانية لا تخفى ولا بد من ان يستفيد يوسف من هذه الحادثة

فقال عسي ان يكون ذلك لانه اذا مال الى الاقتصاد وكره الظهور الفارغ احسب اني ربحت ربحاً وافراً من هذه الحادثة ولو كلفتني خمسين الف جنيه

ودخل يوسف حينئذ لانه يتأخر عادة في نومه وقيامه فقالت له استير اليوم المرافعة ألا تذهب وتحضرها. فنظر اليها كأنه لم يفهم ما تقول ثم قال اي مرافعة فقال لها ابوها دعيه في احلامه فانه لا يزال نائماً

فتبسم يوسف حينئذ وقال نعم نعم مسألة السائق والرجل الطلياني ان ابي يظن ان كل اللوم علي كأن لا احد يركب مركبات ملاكة غيرنا او كأنني انا قلت للسائق ان يقتل الرجل فقالت له صه وكُل البيض قبلما يبرد. ونهض الخواجه لاثي وذهب الى غرفة زوجته لانها كانت مصابة بركام شديد فرأى زكاهما اخذ يحف ونزل ومضى الى مكتبه

وجرت المرافعة ذلك اليوم وحي بالسائق ووضع في قصص المجرمين وافاض وكيل النيابة في شرح التهمة واسهب في وصف ما بلغه اهل الترف والقصوف من التفاني في اقتناء الجياد لمركباتهم وتوصيتهم السائق بسوقها السوق الغنيف حتي تسبق غيرها. وقال ان مركبة من

مركباتهم كادت تدوسه مرة مع شدة حذره ومركبة اخرى كادت تكسر مركبته في نوبة اخرى وانه لا يعجب من ان مركباتهم تقتل رجلاً او اثنين في السنة ولكنه يعجب من انها لا تقتل رجلاً او اثنين كل يوم وليس اللوم على المارة لان الانسان يندهش اذا رأى مركبة كبيرة مقبلة عليه بغتة وخيلها تنهب الارض نهباً فلا يستطيع ان يهرب من طريقها وقد يحاول الهرب منها فيهرب اليها لشدة اندهاله بل اللوم على اصحاب المركبات لانهم لا يسوقونها السوق العنيف اغتناماً للوقت كيف لا وهم يسوقونها كذلك في الزهة بل افتخاراً وبطراً وما من شيء يردعهم عن هذا الغرور والبطر الا سيف العدل ثم مثل لم رجلاً مسكيناً سائراً في طريقه مهتماً بالسعي لعياله رأى مركبة عن بعد فحسب انه يقطع الطريق من جانب الى جانب فلما وصل اليه ولم يظن انها آتية بسرعة البرق فلم يكده يصل الى وسط الشارع حتى دهمته وخيلها بطرانة لان خيول الاغنياء كثيرة لا يشدونها الى المركبات الا مرة كل يومين او ثلاثة فداست قلبه واحشاءه ولم ترحم زوجته واولاده وكان صاحب المركبة وابنه جالسين فيها وعوضاً عن ان ينزلا ويرفعا الرجل من تحت حوافر خيلهما ويناديا له جراحاً يضمد جراحاته امر السائق ان يدير المركبة ويفرّ بهما لكي لا يكتشف احد فعلتهما الشنعاء ولو حدثت في رابعة النهار وفي اكثر شوارع العاصمة ازدحاماً لكن يد العدل اطول من ان يفر منها جان اما المجني عليه فكانت جراحه مميتة فلم يعيش الا بضعة ايام ثم مات على اثرها بشهادة الاطباء الذين عاجلوه وشهادتهم مع اوراق القضية فلم يبق الا الحكم على الجاني المتمدد نادياً له وعبرة لغيره واني اترك الى المحكمة تقدير العقاب لان الجناية كبرى والقتل عمداً ولو تأخرت الوفاة

ولما لم يكن مطالب بالحق المدني لان المطالبة به انما تكون في المحكمة المختلطة قام احمد بك مدافعاً عن السائق وقدّم قضية فرعية وهي ادخال الخواجه عزرا السمسار في الدعوى كغفر للمجني عليه لكي يرتكب الجناية في نفسه فتباحث القضاة في طلبه لحظة ورفضوه وطلبوا منه السير في المرافعة فقال "ان من الجرائم ما يرتكب عمداً يرتكبه الجاني من تلقاء نفسه لغرض يقصده او مغنم يكسبه ومنها ما يرتكب باغراء مغرٍ يجرّسه على ارتكاب الجناية ولا يندر ان يكون الجاني هو المجني عليه اي ان يتجرّ الانسان اتجاراً كأن يتجرّع سمّاً نافعاً او يلقي نفسه في البحر او يطير دماغه برصاصة اذا ضاقت الدنيا في عينيه وسم الحياة او استثقل كرهاً ولكن يندر جداً ان يفعل الجاني ذلك لكي يتهم غيره بالجناية ويجرّ الى نفسه مغنماً من وراء ذلك

”رجل ضاقت الدنيا في وجهه ولم يعد دخله يكفي للقيام بعائلته اما لقلة الاعمال او لسوء التدبير او لانه مولع بالسكر فينفق على الكاس في يوم ما يكتسبه في اسبوع كماكثر فقراء الاوربيين الذي لفظتهم بلادهم الينا ولا سيما الذين من طائفة المدعي علينا . رجل مثل هذا لا يكثر عليه ان يحال حيلة تريحه من التعب والكدح وهي ان يقف امام مركبة سائرة فيها رجل من كبار الاغنياء فتلطمه وترميده وقد تجرحه في يده او ساقه وربما جرح نفسه قبل ذلك ثم يدعي انها هي جرحته فيشفق عليه صاحب المركبة ويعطيه مبلغا من المال او يضطر الى ذلك اضطرارا بحكم القضاء

”وهذا الامر كثير الحدوث وقد حكمت المحاكم في قضيتين من هذا النوع في العام الماضي فبرأت صاحب المركبة والزم المدعي بالمصاريف . وقضيتنا من هذا القبيل من وجه ومن قبيل آخر من وجه آخر وهو ان لدينا ادلة قاطعة على ان المجني عليه والحق ان يسمى بالجاني على نفسه انما فعل ما فعل باغراء مغر وقد اودعت بين اوراق القضية شكوانا على رجل اسمه عزرا اغرى الجاني على نفسه بارتكاب هذه الجناية لاسباب عائلية لاداعي لبسطها واننا اطلب من المحكمة تحقيق هذه القضية الفرعية لانها مرتبطة بقضيتنا ارتباطا لا انفكاك له حتى اذا ثبتت لها دعوانا برأتنا من كل ما نسب الينا وحكمت على الفاعل الحقيقي بما يستحقه“ وقامت المحكمة للداوله فقضت نصف ساعة ثم عادت وحكمت على السائق بالسجن تسع سنوات والاشغال الشاقة . فاحاط به الحرس واخذوه الى السجن وزوجنه واولاده يعولون وراءه

الفصل الحادي والثلاثون

سرقتان

امين بك — سرقتان في ليلة واحدة سرقتان كبيرتان جدا يا استاذ لم نسمع بمثل هذا فطولا سمع به غيرنا . ما قولك في ذلك

الشيخ احمد — اي السرقتان وعند من ومنى

امين بك — اتاني كتاب من بهية الآن نقول فيه ان بنك الخواجه لافي سرق في الليل الماضي دخله اللصوص وفتحوا خزانة الحديد وسرقوا كل ما فيها من النقود والاوراق المالية والسندات . ويقدر المروق بثلاثة الف جنيه ووجدت ابواب البنك مقفلة على عاداتها وكذلك باب الخزانة . ويؤكد الخواجه لافي انه اقل بابها بيده في المساء وهي كبيرة جدا يستحيل كسرها والظاهر ان اللصوص فتحوها بمفاتيح مثل مفاتيحها واخذوا كل ما فيها .

ولم يكن فيهما من النقود سوى خمسين أو ستين جنيهًا ولكن كان فيها من أوراق البنك المصري نحو مئة ألف جنيه ومن سندات الموحد وأسهم البنك الاهلي والبنك الزراعي والعقاري والدائرة العادية والمؤسسة ما قيمته مئتا ألف جنيه . والذي سرقها سرق معها الدفتر الذي فيه نمرها ايضاً فصار يتعذر الاعلان عنها في الجرائد . وهنا الغفلة فما الفائدة من كتابة نمرها في دفتر ووضعها معها . واخذوا ايضاً الحجج والرهنيات ولم يتركوا شيئاً والضرر من اخذ الحجج والرهنيات قليل لان الخواجه لا في يستطيع ان يستخرج غيرها من المحكمة المختلطة وكان امين يتكلم ولحية الشيخ احمد ترتجف وامتعق وجهه وزايله الدم فظهر لونه ترابياً وصمت هنيهة ثم قال ألم يهتدوا الى شيء من آثار اللصوص أو لم يكن في البنك خفيبر يخفوه امين بك — قالت لي بهية في كتابها انه كان في البنك خفيبران من البرابرة وقد انكرا انهما رأيا احداً دخل البنك ولا شبهة في انهما كانا نائمين او متواطئين مع اللصوص . وليس الغرابة في ذلك بل الغرابة ان بنك الخواجه عزرا السمسار سرق ايضاً في الليلة نفسها واخذ اللصوص كل امواله ودفاتره ولم يبقوا له شيئاً والظاهر انهم متواطئون هم واللصوص الذين دخلوا بنك الخواجه لا في على تنظيف المكاين . ويقال انه كان عند الخواجه عزرا اسمهم وسندات ونقود بقيمة تسعين ألف جنيه بعضها له وبعضها لزبائنه . وقد وجد باب خزانته مكسوراً اي ان اللصوص ثقبوا الخزانة بمثقاب عند القفل وفتحوها ومصر قائمة قاعدة لهذا الخبر الشيخ احمد — رأيت وكيل الداخلية منذ ساعة فلم يقل لي شيئاً . ثم ماذا ذكرت لك عن الاجراءات التي اتخذوها

امين بك — لا شيء ولكن المسألة كبيرة جداً كما ترى فيها اربع مئة ألف جنيه لم اسمع بسرقة مثلها في حياتي . وساعود الى مصر غداً او بعد غدٍ لان هواء الرمل لم يوافقني كما كنت انتظر ولا سيما بعدما اشتدت الرطوبة في هذين اليومين

الشيخ احمد — اما انا فاني راجع الى مصر بقطار الساعة السادسة

ثم فتح ساعته وقال بعد ساعة وربع . انا اعرف الخواجه لا في واقدره باكثر مما سرق منه كثيراً واما عزرا فمن هو اليس هو السمسار الذي اغراك بمشترى القطن

امين بك — لم يغرنني عزرا بل رجل اسمه برسوم ولكن عزرا غشني واغتنم فرصة سقوطي ومرضي وتصرف بالقطن كما يشاء فحملنا خسارة كبيرة جداً انت تعلم كيف كان تأثيرها في ابي وحتى الآن لا اقدر ان انسها ساعة واحدة ولولاها لملكيت صحتي وكنت بالف خير من الله . ولكن ضاع كل ما يملكه الآن لاني لا اظن انه يمتلك شيئاً آخر هو وشريكاه

فقد خسروا خسارة كبيرة في الشهر الماضي على ما بلغني لانهم لا يكتفون بالسمسرة وارباحها الزائرة في الصعود والنزول بل يشتغلون على حسابهم فخسروا عشرين او ثلاثين الف جنيه وخسروا نحو عشرة آلاف جنيه من تفليسة امين باشا على ما سمعت امس في البورصة . الذي نجمه الريح تبدده العاصفة والمال الحرام يذهب ويذهب معه الحلال

الشيخ احمد — مال عزرا حرام صدقنا ولكن مال الخواجه لاثي ليس كذلك وعنده ودائع لغيره وهي اهل من الحلال . والحق يقال اننا لا نعرف كل الاحكام التي يجري عليها نظام هذا الكون لان العلل كثيرة جداً فيتعذر علينا جمعها كلها لرد العلولات اليها . وعلى كل حال انا مسافر الليلة فماذا توصي

امين بك — السلام يا استاذ وسنلتقي في مصر بعد يومين ان شاء الله ونادي الشيخ احمد خادم المنزل الذي كان نازلاً فيه ليبي له امتعته فيقوم في اول نطار الى محطة سيدي جابر حتى يدرك اكسبرس المساء

هذا ما جرى في رمل الاسكندرية اما في مصر فان الخواجه لاثي نزل الى مكتبه نحو الساعة السابعة صباحاً نزل هو وواصف بك ليدفع اليه مبلغاً من النقود فيرسله بيوسطة الصباح ولما فتح خزانة الحديد وجدها فارغة لا شيء فيها فارتجفت مفاصله واصطكت ركبته واصفر وجهه وانقطع صوته وكان معه واصف بك وواحد من الكتّاب فاتياه بكرسي فجلس واخذ العرق بتصب من جبينه ثم حضر بقية الكتّاب وضربوا التلفون الى حكمدار البوليس فحضر نفسه هو وثلاثة من معاونين ولم يكادوا يشرعون في التحقيق حتى جاءهم الخبر بالتلفون من المحافظة ان بنك الخواجه عزرا سرق ايضاً فقام اليه الحكمدار ورأى ما فيه . وكان مع واصف بك خادمه فرأى ما حدث في البنكين وعاد الى البيت واخبر عما رأى وكانت بهية تكتب لاختها فقص عليها ما رأى وسمع فكتبت في الكتاب وارسلته باكسبرس الصباح فوصل قبلما وصلت جرائد مصر الى الاسكندرية

اما الحكمدار فيبحث ودفق وارسل من اخبر النيابة واستدعى اثنين من معاونين الذين كانوا معه احدهما ايطالي والاخر مصري وقال لهما هذا يومكم وكل اعتمادى عليكما . ثم عاد الى المحافظة وارسل التلغرافات الى كل جهات القطر ولا سيما الى الاسكندرية وبورت سعيد والسويس واسم معاونين اسمعيل وبدرو وكان اسمعيل اكبر سناً من بدرو ووسع خبرة ولكن بدرو كان اعلم منه باللصوص من اليونان والطلبان الذين يترددون على القطر المصري وينفون منه اليوم فيرجعون اليه غداً بعد ان يغيروا اسماءهم واشكالهم

ودخل اسمعيل افندي الى غرفة ومعه الخواجه بدرو وقال له اذهب الى بنك عزرا وخذ معك مصوراً من مصوري الشمس وصور خزانة الحديد من كل جهاتها وانفخ بابها وصورها من الداخل وصور ايضاً باب الغرفة التي فيها الخزانة فقال بدرو لماذا هذا التعب الفارغ فان النور في البنك حيث الخزانة ضعيف جداً لا يصور به شيء

فغظ اليه اسمعيل افندي وقال له افعّل ما اقوله لك وسأخبرك عن مرادي في ما بعد . وكان مأموراً بان لا يخالف له امر اذهب واحضر مصوراً فصور باب الغرفة وجدرانها وجوانب الخزانة وبابها وفعل اسمعيل افندي كذلك بينك الخواجه لاثي واخذ زجاجات التصوير بعد تثبيت الصور عليها . وجلسا مع سكرتير الخواجه لاثي وحده وسألاه مسائل عديدة كتبها وكتبا اجوبتها ثم سألا كل واحد من الكتبة والفراشين والخفراء وفعلا كذلك بالخواجه عزرا وشريكه وكتبته وخدامه فعلا ذلك كله في يوم واحد واستحضرا ستة من رجال البوليس السري الذين يعتمدان عليهم واوصياهم بما يريدان واستحضرا ايضاً امرأتين من نساء البوليس السري واوصياها بامور اخرى . وجلس اسمعيل افندي في غرفته في المحافظة يطالع التقارير الواردة اليه من جهات القطر ومن البوليس السري وهو لا يهتم الا بهاتين السرتين وكان العمل كله في يده وبدرو يساعده ويفعل ما يطلبه منه فالامور التي يدرك المراد منها يفعلها حالاً والتي لا يدرك مغزاها يعترض عليها ولكنه لا يلبث ان يفعلها حالاً يأمره بفعلها ولو لم يفهم المراد منها لكن اسمعيل افندي لم يكن بالرئيس العاقي بل كثيراً ما كان يشرح مراده لبدرو ولا يكتبه عنه الا اذا رأى ان الضرورة تقتضي ذلك وفي اليوم الثالث وضع اثنين من البوليس السري حول بيت الخواجه عزرا يراقبان الداخلين اليه والخارجين منه نهائراً وليلاً ويتبعه واحد منهما اينما سار وكان امام باب بيته رجل يبيع التبغ وهو من رجال البوليس السري ايضاً فلم يكن دكانه يخلو من واحد يراقبه ويراقب بيته وفي مساء ذلك اليوم جلس بدرو مع اسمعيل افندي وجعلا يراجعان الامور التي اكتشفاها والاستعلامات التي وصلا اليها فقال بدرو كل هذا فهمته الا الصور الفوتوغرافية فاني لا ارى لها معنى ولا فائدة

اسمعيل افندي — يظهر لي انك اعترضت عليها من اول الامر ولا تريد ان تحول عن اعتراضك على جاري عادتك

بدرو — كلا ليس الامر كذلك ولكنني بذلت جهدي لاجد لها معنى فلم اجد ولا نحن طبعناها على الورق بل ابقيناها على الزجاج ولو حاولنا طبعها ما ظهر فيها شيء وقد رأيتك

اس تنظر اليها بالمرسكوب فتناولتها بعد خروجك ونظرت اليها به فلم اجد فيها شيئاً
وكانا يتكلمان باللغة الايطالية لان بدرو يفهم العربية ولكنه لا يحسن التكلم بها واما
اسماعيل افندي فيحسن الايطالية تكلماً وكتابةً وهو مثل اكثر الشرقيين في تعلم اللغات
الاجنبية . فقال الم تر في بعض الصور خطوطاً دقيقة

بدرو — كلاً لم ار شيئاً وهب اننا رأينا فيها خطوطاً فما فائدتها . فقال — سأخبرك بذلك
في فرصة اخرى هل رأيت هذه الايام بني اكلولو الذي نفيناه منذ اربعة اشهر
بدرو — بني اكلولو بني اكلولو اين رأيتُه اين رأيتُه يا ربي . رأيتُه هنا في مصر او
في المطربة امهلني الآن لاقول لك اين رأيتُه نعم رأيتُه في مصر اشتبهت به اشتباهاً لان شعر
بني اسود وهذا شعره اشقر ولكن وجهه لم يتغير الا انه صار اسمن مما كان نعم هذا بني بعينه انفه
وجبهته وقامتة كل ذلك لم يتغير ولكن شعره اشقر وقد كان اسود فاحمًا فكيف صار اشقر

اسماعيل افندي — هذا امر سهل فان الماء المسمى اكسيد الهيدروجين يغير لون الشعر ويصيره
اشقر . ولا شبهة في ان بني هنا فاذهب وابحث عنه حالاً وراقبه في حركاته وسكناته ودخوله
وخروجه حتى تعرف كل من يتردد عليه ويكلمه واذا رأيتُه يحاول الخروج من مصر فاقبض عليه
حالا وخدمك مرسي وعبد المجيد ولا تخبروا احداً مطلقاً ولا تدعوا احداً يعلم شيئاً من امره
ثم قام وذهب الى بنك الخواجه عزرا وجعل يسأله بعض مسائل وهو يمزح تارةً ويجدد
اغرى ثم قال لعزرا ترى الم يكتب اللصوص شيئاً وهم هنا . فقال عزرا لا اظن ولكن لو
كتبوا شيئاً فكيف نستدل عليهم من الكتابة فقال انه قد يمكن الاستدلال على الشخص من
كتابه احياناً كثيرة ولكنني لا اقصد ذلك وانما اقصد انه ربما تلوثت يد احدهم حبراً ولس
الورق بها فقد يمكن الاستدلال عليه من آثار اصابعه

عزرا — ماذا نقول ايكن الاستدلال على الانسان من آثار اصابعه كيف ذلك . فقال اسماعيل
افندي هكذا ولوث رأس سبابته بالخبر ولس بها ورقة ففعل عزرا مثله ولكن كان الخبر كثيراً
فكان الاثر اسود طامساً . فقال له اسماعيل افندي اكثرت الخبر فقلله . فقلله وطبع عدة طبعات
على ورقة اخرى فرماها اسماعيل افندي وقال هذا لا ينفع اطبع هكذا ولوث اصبعه وطبعه ففعل
عزرا مثله وقال وما فائدة ذلك فقال اسماعيل افندي يقال انه يمكن الاستدلال بهذه الآثار
على الاشخاص . فضحك عزرا وقال كيف يمكن الاستدلال على الاشخاص وانا ارى ان
علامات اصبعك مثل علامات اصبعي تماماً . فقال اسماعيل افندي كذا يقولون وعلينا ان نجتمع
كل الاستدلالات حتى لا نقصر في شيء ولكن الاعتماد على تحقيق النياية اكثر من

الاعتداع على تحقيقنا . ثم ساله مسائل اخرى وكتب اجوبته في مذكرته وقام وانصرف
 وكان اسمعيل افندي يحقق وحده والنيابة تحقق وحدها فاقامت الدنيا واقعدتها . وكان جل
 اعتمادها على تقرير قدمه لها الشيخ احمد وهو ان بين الاوراق المالية التي سرت من خزنة
 الخواجه لاثي اوراقا له من اسهم الدائرة السنية العادية والمؤسسة نمرها كذا وكذا . فاسرت
 بذلك الى البنوك وسامسة الاوراق المالية وقبضت على الغفيرين اللذين في بنك الخواجه لاثي
 واخذت اقرارها مراراً واخذت اقرار الكتبة كلهم في البنكين ورجحت ان لاثين من الكتبة
 في بنك الخواجه لاثي اشتراكاً مع اللصوص فامرت بالقبض عليهما وايداعهما السجن

الفصل الثاني والثلاثون

الفقر بعد الغنى

حمل الخواجه لاثي من مكتبه الى داره وهو يكاد يغيب عن صوابه وعاقبه اثنان من
 الكتّاب على صعود الدرجات القليلة امام باب بيته . واطلّت زوجته من الطبقة العليا من
 البيت ورأت اثنين يسندان في نزوله من المركبة فصرخت صرخة منكزة وأغمي عليها فبادرت
 استير اليها وسألت عما اصابها فاخبرها الخدم ان اباه دخل البيت واثنان يسندان فلم توجس
 شراً بل بقيت تعتني بامها ففكت ازرارها وجعلت تفرك يديها وتروح لها وامرت احد الخدم
 ان يسرع ويحضّر الطبيب

وكان الخبر قد شاع في العاصمة ان بنك الخواجه لاثي سرق ولكن لم يحضر احد ان
 يوصله الى اهل بيته . وسمعه الطباخ في السوق لكنه كتمه ولم يخبر به الا الخدم فلما راوا
 سيدهم داخلاً على هذه الصورة لم يخف عليهم السبب اما استير فكانت تجهل ذلك وبعد
 قليل اصعد ابوها الى الطبقة العليا ولما رأى زوجته مطروحة مغمي عليها ارتقى على مقعد الى
 جانبها وقال بالعبرانية ليتبارك اسم اله اسرائيل الرب اعطى والرب اخذ فليكن اسم الرب مباركا
 فاضطربت استير من هذا الكلام وظنت اولاً ان اخاها اصيب بمكروه ولكنها عادت
 فقالت انه لم يزل في البيت ودنت من ابيا وقبّلت وجهه وقالت له ماذا جرى يا ابي لا تخف
 فان امي يصيبها الاغما كثيراً وقد أغمي عليها مرتين في السنة الماضية

فقال لا بأس افركي يديها لا اقدر ان اساعدك لاني خائر القوى الرب اعطى والرب
 اخذ ولكن اموال الناس ما الحيلة ما العمل

فظنت انه خسر خسارة كبيرة في البورصة وقالت له المال فدى الرجال والذي يكسب
بسر أخاف ان نموت جوعاً خسرنا خسرنا اين همتهك والى متى نبقي عبيداً للمال
نقال افركي يدي امك وروحي لما روحي لما انظري اظنها فتحت عينها الآن أليس عندنا
روح النشادر يا داود يا مريم يا لبيب هاتوا خنجر روح النشادر ها هو فوق المغسلة في اوضة الست
فدخل الخادم واتى به واعطاه لاستير ففتحته وشممت امها فحركت رأسها وفتحت عينها
ونظرت الى ما حولها فوقع نظرها على زوجها ثم حاولت النهوض فساعدتها استير حتى نهضت
وجلست وقالت لزوجها ماذا جرى هل رأيتك في حلم ولماذا رجعت من المكتب الم ارا اثنين
من الكتاب يسندانك وانت نازل من المركبة فماذا جرى لك

فقال لها استير خذي راحتك الان ماذا جرى له الظاهر ان الاسهم هبطت نصف
جنبه فظن اننا سمنوت جوعاً . فالتفت امها اليه وقالت له قطعت قلوبنا انتظر ان تريج دائماً
ولا تخسر . صدق فيك يوسف فانه يقول ان قلب ابى على ماله اذا خسر غرساً طار عقله معه
نقال قولي له ليسد فاه اتعلمين ما اصابنا الآن صرنا على الارض

استير — صرنا على الارض يا ابى ما هذو المبالغات حتى تقطع قلب امي آه لو تعلمت
العربية ورأيت ما فيها من الحكمة . اسمع ما يقولون الدهر بومان يوم عليك ويوم لك فان كان
عليك فلا تضيئر وان كان معك فلا تبطر . وما قال شاعرهم

لقد علمت وما الاسراف من خلقي ان الذي هو رزقي سوف يأتيني
اسعى له فيعطيني تطلبه وان قعدت اتاني لا يعطيني
كم من فقير غني النفس تعرفه ومن غني فقير النفس مسكين

ثم فسرت له ذلك بالفرنسوية فقال لقد اصاب فان الغنى هو غنى النفس ولكن هذه تسلية
الفلس وانت تظنين اني خسرت في البورصة وتحاولين ان تخففي عني . لو خسرت بالبورصة
لكنت اسكت ولا اشكو الى احد ولا اشكو من احد لان لومي على نفسي ولكن ليس الامر
كذلك بل ان لصاً خبيثاً دخل بنكنا في الليل الفات وسرق منه كل ما نملكه حتى اموال
الغير المودعة عندنا ولم يسرقوا بنكنا فقط بل سرقوا بنك عزرا ايضاً

لما سمعت استير ذلك فتحت فاهها وحفظت عيناها غضباً عنها اما امها فعاودها الاغما وجعل
الزبد يخرج من فيها وحضر الطبيب حينئذ ودخل مع يوسف ووجدهم على تلك الحال فلم يعلم
من يكلم ولا من هو المريض الذي دعي له وأشار الخواجه لاثي الى زوجته فبادر الطبيب
اليها وكان خنجر الامونيا لا يزال الى جانبها ففتحته وشمه فعطس ثم ادناه من انف مدام لاثي

وانتهبت استير الى نفسها وتجلدت وودت من امها وعادت تفرك يديها ثم سارت الى ابياها وقالت له قلت انهم سرقوا بنك عزرا ايضا فانا لا اصدق ولا بد من حيلة في الامر وساكشف لك السرقة والسارق . من قال لك انهم سرقوا بنكه ومتى حدث ذلك

فقال لما كان حكامدار البوليس عندنا ينظر ما حدث نادوه من المحافظة بالتلفون وقالوا له ليسرع الى بنك الخواجه عزرا لان اللصوص كسروا خزانة الحديد وسرقوا كل ما فيها البارحة في نفس الوقت الذي سرقوا فيه بنكنا

فجعلت تفرس في ابياها ثم التفتت الى امها فرأت انها اخذت روعها فقالت لابيها انا ذاهبة الى البنك مع يوسف لارى بعيني . انا لا اصدق الا ان في الامر حيلة

فقال لها ابوها اذهبي فانت خير من الف رجل

فامسكت بيد اخيها ونزلت وهي تقول للخادم اسرع نادر لنا مركبة من الشارع ثم ركبت اول مركبة التقت بها وحشت السائق على الاسراع الى ان وصلت الى مكتب ابياها ودخلت مكان خزانة الحديد ورأت المصور يصورها فسألت وفحصت ودققت ثم ركبت مع اخيها وسارت الى مكتب الخواجه عزرا فلما رآها اضطرب في اول الامر لكنه تجلد وسلم عليها وقال لها ارأيت ما حل بنا انا وايبك . فلم يخف عليها اضطرابه وقالت له نعم كأنه على ميعاد . فلم يفهم مرادها . ودخلت ودققت نظرها في خزانة الحديد وسألت عزرا مسائل كثيرة كأنها مهتمة بامرهم كما هي مهتمة بامر ابياها فسرى عنه بعض الشيء وعاد يظهر عزة النفس بعد ان اظهر التذلل وقال لها الله كريم الرجال تجلب المال فقالت والذي اغني مثلك في سنة لا يصعب عليه ان يسترد غناه في سنة . وبقيت نحو نصف ساعة تكلمت في موضوع السرقة وهو على تمام الحذر منها لانه كان يشعر انها اقوى منه . وهذا شأن النفوس الصغيرة متى وقفت امام النفوس الكبيرة . ثم سألت من رجال البوليس الموكل بالبحث والتحقيق فقيل لها انه اسمعيل افندي وكان هناك حينئذ فسلمت عليه مصافحة وقالت له انا نرجو اكتشاف غوامض هذه الجناية بهارتك وانا واثقة انك لا تهجز عن اكتشافها . ووصل الشيخ احمد في المساء ومراً ببيت الخواجه لافي فنهضت استير للقاءه وعرفت من وجهه انه عارف بما جرى فقالت له كن مطمئن البال يا استاذ فان المال الحلال لا يضيع وان ضاع

فقد ثقل الايام حالات اهلها وتعدو على اسد الرجال الثعالب

فقال لها لا فؤفك يا بنتاه ولكن المال والبنون لذة الحياة الدنيا

ولا رفّع النفس الدنيئة كالغني ولا وضع النفس النفيسة كالفقير